الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف –المسيلة–

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

كلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية الرقم التسلسلي: .....

قسم: الفلسفة رقم التسجيل: .....

العنوان:

العقل والنقل عند ابن تيمية

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر تخصص فلسفة عامة

من إعداد: تحت إشراف:

– فضيلة يطو – عبد النور خشعي

لجنة المناقشة:

– رئيسا	جامعة محمد بوضياف المسيلة	د. .....
– مشرفا ومقررا	جامعة محمد بوضياف المسيلة	د. عبد النور خشعي
– مناقشا	جامعة محمد بوضياف المسيلة	د. .....

السنة الجامعية

2022/2021

" قال رب اشرح لي صدري

ويسر لي أمري واحلل عقدة من

لساني يفقهوا قولي " طه (25-2

شكر وعرفان

قال الله تعالى ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾ سورة إبراهيم الآية 07

فأول من يشكر ويحمد هو العلي القهار الذي أغرقنا بنعمه التي لا تحصى، وأغدق علينا برزقه الذي لا يفنى، وأنار دروبنا، فله جزيل الحمد والثناء ، هو الذي أنعم علينا إذ أرسل فينا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم، أرسله بقرآنه المبين ، فعلمنا ما لم نكن نعلم وحثنا على طلب العلم أينما وجد.

فلله الحمد والشكر كله أن وفقني لإنجاز هذه المذكرة.

أتقدم بجزيل الشكر إلى والدتي التي آزرتني بدعائها وتشجيعها لي بمواصلة السير لى درب العلم فجزاها الله عني خير جزاء.

كما أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى الأستاذ المشرف عبد النور خشعي الذي تابع عملي ولم يبخل عليا بنصائحه وتوجيهاته القيمة والمفيدة. وإلى كل أساتذة قسم الفلسفة بجامعة المسيلة.

كما أرفع كلمة شكر إلى أستاذة التربص خديجة خميس التي لم تبخل عليا بنصائحها وتوجيهاتها وآرائها السديدة التي تقدمها لي باستمرار

والشكر موصول إلى كل المعلمين وأساتذتي السابقين الذين سهلوا وأضاءوا لي درب المعرفة في كل مراحل دراستي.

إهداء

أهدي ثمرة جهدي هذا إلى أعز وأغلى إنسانة في حياتي، إلى من رضاها غايتي وطموحي، فأعطتني الكثير ولم تنتظر الشكر، إلى باعثة العزم والتصميم والإرادة، التي أنارت دربي بنصائحها، وكانت بحرا صافيا يجري بفيض الحب والبسمة، إلى من زينت حياتي بضياء البدر وشموع الفرح، إلى من منحتني القوة والعزيمة لمواصلة الدرب، وكانت سببا في مواصلة دراستي، إلى من علمتني الصبر والاجتهاد، إلى الغالية على قلبي أمي الحبيبة أطال الله في عمرها.

إلى والدي أطال الله في عمره.

إلى من أخذ بيدي أول يوم إلى المدرسة إلى روح جدي وجدتي رحمهم الله.

إلى من بذلوا جهدا في مساعدتي، وكانوا سندا لي في مشواري الدراسي، إلى من حبهم يجري في عروقي ويلهج بذكراهم فؤادي إلى خالاتي وأخوالي الدراجي، عبد الحليم، خالد، حفظهم الله عز وجل.

إلى من سرنا سويا ونحن نشق الطريق معا نحو النجاح والإبداع، إلى من تكاتفنا يدا بيد وتذوقت معهم أجمل اللحظات إلى صديقاتي سارة ونجاة.

إلى من قدمت لي يد العون والمساعدة رفيقة المشوار الجامعي صديقتي سميرة.

إلى كل من ساهم ولو بحرف في مشواري الدراسي..ومن كان لهم أثر على حياتي.. وإلى كل من أحبهم قلبي ونسيهم قلمي.

خطة البحث:

مقدمة

الفصل الأول: مدخل مفاهيمي وتاريخي

تمهيد

المبحث الأول: تعريف العقل والنقل (لغة واصطلاحا)

أولا: تعريف العقل

ثانيا: تعريف النقل

المبحث الثاني: مسيرة ابن تيمية

أولا: نسبه ومولده

ثانيا: عقيدته ومذهبه الفقهي

ثالثا: مؤلفاته ووفاته

المبحث الثالث: إشكالية علاقة العقل والنقل عند المتكلمين

أولا: المعتزلة

ثانيا: الأشاعرة

المبحث الرابع: جدلية علاقة العقل والنقل عند فلاسفة الإسلام

أولا: أبو حامد الغزالي

ثانيا: ابن رشد

ثالثا: نقد ابن تيمية للغزالي وابن رشد

خلاصة

الفصل الثاني: مسألة التوفيق بين العقل والنقل عند ابن تيمية

تمهيد

المبحث الأول: إشكالية المعنى والمكانة للعقل والنقل

أولا: إشكالية المعنى للعقل والنقل

ثانيا: مكانة العقل والنقل

المبحث الثاني: مشروعية النقل على العقل (العلاقة بينهما)

خلاصة

الفصل الثالث: موقف فخر الدين الرازي من إشكالية علاقة العقل والنقل عند ابن تيمية.

تمهيد

المبحث الأول: العقلانية الكلامية.

المبحث الثاني: تعارض العقل والنقل (تقديم العقل عند الرازي).

المبحث الثالث: الوحي والعقل.

خلاصة

خاتمة

قائمة المصادر والمراجع

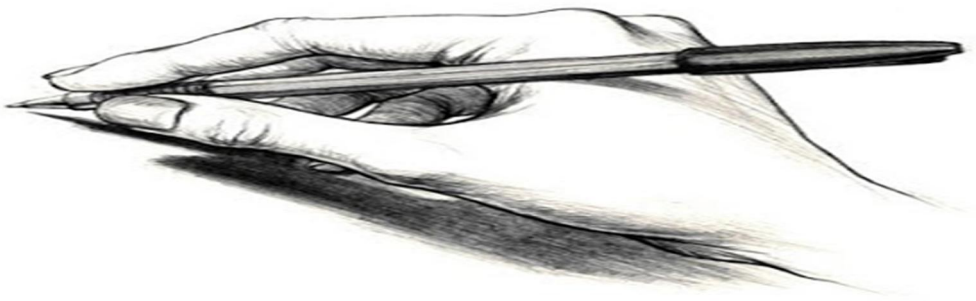

مقدمة

مقدمة:

لقد طرأ على الساحة الفكرية الإسلامية مجموعة من القضايا شدت الأذهان، خاصة تلك التي تزامنت مع الانفتاح الفكري الذي شهده العالم الإسلامي، مع بدايات القرن الثاني الهجري، على ثقافات وأفكار والأمم الأخرى، ومن أبرز هذه القضايا قضية العقل والنقل، فيعتبر الصراع بين العقل والنقل من أقدم المعارك الفكرية في تاريخ الإسلام، وقد بدأت هذه المعركة مع انتشار الإسلام وانفتاحه على الكثير من الحضارات، وكان من نتائج هذا الانفتاح ظهور المنهج العقلي، الذي اتخذه البعض مذهبا رسميا، وهذا أدى إلى وقوع صدام فكري مع أصحاب المذاهب التقليدية المحافظة على تقديم النقل على المذاهب الأخرى.

فقد قامت دراسات متعددة من قبل مفكري العربي والمسلمين حول نظرية العقل والنقل، حيث برز تيارين حول هذه النظرية، تيار معارض لفكرة العقل وربطه بالنقل، يطالب بتتبع ما جاء به النقل فقط، وتيار آخر مؤيد لفكرة ترابط العقل والنقل ببعضهما، وفي البحث عن طرق إزالة التعارض بينهما تراوحت أقوال الاتجاهات الدينية بين من يرى تقديم النقل على العقل مطلقا، ومن يعاكسه بتقديم العقل على النقل مطلقا، وهناك من شق طريقا بتحديد القطعي منهما وتقديمه على الآخر بصفته قطعيا، وليس باعتبار جنسه سواء كان عقليا أم نقليا.

مع أن هذه النظرية ليست حكرا على الفكر الإسلامي فقط، فقد كانت بدايتها مع الديانات الأخرى كالمسيحية واليهودية، إلا أنني سأركز بشكل خاص على الفكر الإسلامي، إذ يعد شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– من أبرز مفكري الإسلام الذين اهتموا بدراسة جدلية العلاقة بين العقل والنقل وفك التعارض بينهما، ولعرض فكر ابن تيمية –رحمه الله– وموقفه من هذه النظرية، فنطرح الإشكالية التالية:

كيف كانت نظرة ابن تيمية لقضية العقل والنقل ؟ وهل استطاع ابن تيمية أن يوفق بين العقل والنقل ؟.

وعن هذه الإشكالية تتفرغ مجموعة من التساؤلات هي:

- ما مفهوم العقل والنقل ؟ وهل شهدت قضية العقل والنقل محطات سابقة عند المتكلمين ؟.
- وما موقف ابن تيمية من النقل ومن العقل ؟ وهل للعقل مكانة عند ابن تيمية ؟ وهل تعرض ابن تيمية للنقد في هذه القضية من علماء الكلام ؟.

- ومن أهم الدوافع الموضوعية التي أدت بي إلى اختيار هذا الموضوع هي:

- المكانة الرفيعة التي تبوأها ابن تيمية –رحمه الله– فشهد له العلماء والمفكرين بذلك قديما وحديثا.
- الآراء التي طرحها ابن تيمية رحمه الله حول العلاقة بين العقل والنقل واهتمامه بهذا الموضوع في جل دراساته.

- أما الدوافع الذاتية هي:

- رغبة التعرف على أهم أفكار ابن تيمية –رحمه الله–.
- الميل الذي كان يشدني نحو دراسة الفلسفة الإسلامية بصفة عامة، وفكر ابن تيمية بصفة خاصة.

- وكان هدفي من هذه الدراسة هو التعريف بشخصية ابن تيمية –رحمه الله–، حيث يعتبر شخصية ذكرها العديد من المفكرين والفلاسفة، وكذلك إبراز موقف ابن تيمية من مسألة العقل والنقل وبيان آثار موقف دراسته في الفكر الإسلامي.
- وقد استعنت في إنجاز هذا البحث بالعديد من المصادر والمراجع كان أبرزها كتاب "درء تعارض العقل والنقل"، بأجزائه العشرة، حيث يعتبر من أهم مصادر ابن تيمية في مسألة العقل والنقل، وكذلك "موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول"، ومن هنا يتبين موقفه من علاقة العقل بالنقل، بالإضافة إلى عدة مراجع أهمها مرجع "حياة شيخ الإسلام ابن

تيمية" لصاحبه محمد بهجة البيطار، ومرجع "ابن تيمية حياته وعصره"، لصاحبه محمد أبو زهرة، بالإضافة إلى عدة مراجع أخرى.

- وكأي بحث علمي فقد اعتمدت فيه على المنهج التحليلي والمنهج التاريخي وسرت وفقهم لدراسة هذا البحث والتحكم في عناصره، فاعتمدت على المنهج التحليلي بالدرجة الأولى وهذا ما اقتضته طبيعة الموضوع لأنه يستدعي التحليل، كما استعنت بالمنهج التاريخي في الوقوف على بعض المسائل التاريخية.

- وللإجابة على الإشكالية المطروحة، قسمت الموضوع إلى مقدمة وثلاثة فصول، وخاتمة، وهذا التقسيم يناسب العناصر المدروسة وفق ما يلي:

- مقدمة كانت عبارة عن تقديم عام للموضوع، ثم تلاه الإشكال المطروح، بعدها قمت باستعراض أسباب ودوافع اختيار الموضوع، وهدفي من هذه الدراسة، وهكذا عرضت بعض المصادر والمراجع التي استعنت بها في انجاز هذا البحث، ثم المنهج المتبع، وبعدها عرضت الخطة المتبعة لانجاز هذا البحث بالإضافة إلى أهم الصعوبات التي واجهتها.

- أما الفصل الأول، فكان بمثابة فصل تمهيدي عالجت في بدايته التعريف بكل من العقل والنقل، ثم عرضت فيه مسيرة ابن تيمية، وبعدها تطرقت إلى السياق التاريخي للعلاقة بين العقل والنقل عند أبرز الفرق الكلامية، ثم تناولت في الأخير جدلية العلاقة عند فلاسفة الإسلام وقد اخترت نموذجين الغزالي وابن رشد.

- أما الفصل الثاني فقد عالجت فيه مسألة التوفيق بين العقل والنقل عند ابن تيمية –رحمه الله– فقد تطرقت إلى معنى ومكانة العقل والنقل عنده، ثم بعدها انتقلت إلى العلاقة بين العقل والنقل في نظر ابن تيمية –رحمه الله– وكيف استطاع أن يوفق بينهما.

- أما بالنسبة للفصل الثالث والأخير فقد كان تحت عنوان موقف فخر الدين الرازي من إشكالية علاقة العقل والنقل عند ابن تيمية، حيث خصصت مبحث لكل جانب محاولة

إظهار موقف الرازي، حيث عالجت فيه مشكلة العقلانية الكلامية، وجدلية تعارض العقل والنقل، وتقديم العقل على حساب النقل في نظر الرازي، ثم عالجت مشكلة الوحي والعقل.

- وخاتمة قدمت فيها حوصلة لنتائج البحث التي توصلت إليها للإجابة على الإشكالية المطروحة.

- الدراسات السابقة:

- لقد حظيت شخصية ابن تيمية –رحمه الله– باهتمام الباحثين قديما وحديثا، ولهذا نجده من أكثر الشخصيات التي حظيت بالدراسة كثيرا، أما فيما يتعلق بهذا الموضوع الذي عالجته فإنني لم أعثر على مذكرة سابقة تحت هذا العنوان، لكن لا أنفي وجود العديد من المؤلفات التي ساعدتني في انجاز هذا البحث العلمي.
- وكأي بحث علمي فقد واجهت العديد من الصعوبات فلا شك أن أي بحث علمي يتعرض لمشكلات وعراقيل ومن الصعوبات التي واجهتها نذكر ما يلي:

- ضيق الوقت لتحليل الأفكار نظرا لتشعبها.
- صعوبة التحكم في الموضوع لتوسع وامتداد أفكار ابن تيمية.
- وفرة المادة العلمية بشكل كبير عند ابن تيمية، فقد خلف مؤلفات كثيرة تتطلب جهدا كبيرا في البحث، وكذلك يصعب في بعض الأحيان تحديد رأي ابن تيمية في قضية معينة لكثرة النقول التي يسردها في مؤلفاته عن العلماء الآخرين، فيصعب تحديد رأيه.

- لكن رغم هذه الصعوبات إلا أنني اجتهدت قدر المستطاع لإنجاز هذا العمل.

الفصل الأول

مدخل مفاهيمي وتاريخي

تمهيد

المبحث الأول: تعريف العقل والنقل (لغة واصطلاحا)

أولا: تعريف العقل

ثانيا: تعريف النقل

المبحث الثاني: مسيرة ابن تيمية

أولا: نسبه ومولده

ثانيا: عقيدته ومذهبه الفقهي

ثالثا: مؤلفاته ووفاته

المبحث الثالث: إشكالية علاقة العقل والنقل عند المتكلمين

أولا: المعتزلة

ثانيا: الأشاعرة

المبحث الرابع: جدلية علاقة العقل والنقل عند فلاسفة الإسلام

أولا: أبو حامد الغزالي

ثانيا: ابن رشد

ثالثا: نقد ابن تيمية للغزالي وابن رشد

خلاصة

الفصل الأول: مدخل مفاهيمي وتاريخي

تمهيد:

شغلت قضية العقل والنقل اهتمام كبير لدى الفلاسفة والمفكرين فقد احتلت هذه القضية مكانة هامة في الفكر، وقد نتج عنها العديد من الآراء فمنهم من يقدم العقل على النقل، ومنهم من يهمل دور العقل ويهتم بالجانب النقلي، فاختلفت الآراء بين الفصل والترابط بينهما.

ومن هنا رأيت أن هذا الفصل هو بمثابة المحطة الأولى التي سوف أعالج فيها قضية العقل والنقل، فقد تطرقت في المبحث الأول للتعريف بكلا من العقل والنقل بمفهومها اللغوي والاصطلاحي، وفي المبحث الثاني عرضت فيه مسيرة ابن تيمية.

وبعدها تطرقت إلى السياق التاريخي لعلاقة العقل بالنقل، الذي عالجت فيه مشكلة العلاقة عند أبرز الفرق الكلامية كالمعتزلة والأشاعرة في المبحث الثالث، أما المبحث الرابع كان تحت عنوان جدلية العلاقة عند فلاسفة الإسلام، وقد اخترت نموذجين (الغزالي وابن رشد) لأنهم عالجوا مشكلة العقل والنقل وكانوا من أبرز الفلاسفة الذين اهتموا بهذه القضية.

ومنه نطرح التساؤل:

- ما تعريف العقل والنقل ؟ وما علاقة العقل بالنقل عند المتكلمين وفلاسفة الإسلام ؟.

المبحث الأول: تعريف العقل والنقل (لغة واصطلاحا)

لقد تعددت تعريفات العقل والنقل بين اللغوي والاصطلاحي، ونتيجة هذا التعدد بسبب الدراسات المختلفة حول مسألة العقل والنقل، وسوف نتطرق إلى تعريف العقل والنقل من الجانب اللغوي والاصطلاحي في هذا المبحث.

أولا: تعريف العقل:

1- العقل لغة: عُرف العقل في معجم لسان العرب لابن منظور بأنه: "الحجر والنهي ضد الحمق، والجمع عقول، وفي حديث عمرو بن العاص تلك عقول كادها بارئها، أي أرادها بسوء، عقل، يعقل عقلا ومعقولا"(1).

"وقد سمي بذلك تشبيها بعقل الناقة لأنه يمنع صاحبه من العدول عن سواء السبيل كما يمنع العقال الناقة من الشرود"(2).

والعقل فيه معنى المنع، لأنه يمنع صاحبه عن العدول عن سواء السبيل ويسمى في القرآن بالحجر، وذو الحجر ذو العقل، وأولوا الألباب أصحاب العقول، وكذلك أولوا النهي"(3).

"والعقل نقيض الجهل، يقال عقَل يعقِل عقلا، إذا عرف ما كان بجهله قبل، أو أنزجر عما كان يفعله، وجمعه عقول"(4).

---

(1)- ابن منظور: لسان العرب، (المادة: العقل)، دار المعارف، النيل، القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، ص3046.

(2)- جميل صليبا: المعجم الفلسفي، جزء 02، (مادة العقل)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1982م، ص84.

(3)- محمود حمدي زقزوق: الموسوعة الإسلامية العامة، (مادة العقل)، جمهورية مصر العربية وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، (د.ط)، 1424هـ/2003م، ص981.

(4)- أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة، جزء 4، (مادة العقل)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (د.ط)، (د.ت)، ص69.

وقد بين القرآن الكريم أن العقل نقيض الجهل في قوله سبحانه وتعالى: « أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ »[1]. **(سورة الأنبياء: الآية67).**

وتعتبر هذه من أهم المفاهيم اللغوية للعقل، فالعقل يمنع صاحبه من التورط في المهالك، ويمنع النفس عن التصرف العشوائي الناتج من مقتضى الطبع.

2- العقل اصطلاحا:

يمثل العقل حجر الأساس للمعرفة الإنسانية، وكان هذا سببا ليجعل من محاور المناظرة والجدال لتحديد مفهومه، فتعددت التعاريف لمصطلح العقل، إلا أن كل التعاريف للعقل تكون متشابهة كونه ملكة فطرية يشترك فيها الجميع.

"والعقل في التعريف جوهر بسيط مدرك للأشياء بحقائقها ولا ينسب إلى عضو مخصوص، والعقل ليس شيئا غير إدراك صور الموجودات من حيث هي، وهو جوهر مجرد عن المادة، وقيل العقل هو آلة سواء السبيل، وأنه جوهر مجرد يدرك الغائبات بالوسائط والمحسوسات بالمشاهدة، وهو ميزان صحيح، فأحكامه يقينية"[2].

"ويعبر عن نفس المعنى تقريبا بطريقة أخرى، فيقال إن العقل هو ملكة الربط بين الأفكار وفقا لمبادئ كلية، لكن مجرد الربط بين الأفكار لا يكفي لتحديد العقل"[3].

ويطلق العقل أيضا على قوة النفس التي بها يحصل تصور المعاني وتأليف القضايا والأقيسة، والعقل هو قوة تجريد تنتزع الصورة من المادة وتدرك المعاني الكلية كالجوهر والعرض، والعلة والمعلول، والغاية والوسيلة، والخير والشر "[4].

---

(1)- سورة الأنبياء، الآية 67.

(2)- عبد المنعم حنفي: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، (مادة العقل)، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط3، 2000، ص537.

(3)- عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة، جزء02، (مادة العقل)، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ط1، 1984م، ص72.

(4)- جلال الدين سعيد: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، (مادة العقل)، دار الجنوب للنشر، تونس، (د.ط)، 24-02-1994م، ص290.

أي بأن العقل جوهر بسيط يدرك المعاني، والعقل يمنع صاحبه من الوقوع في الخطأ والمهالك، فهو عبارة عن قوة متهيئة لقبول العلم وفهم الخطاب والتمييز بين الحق والباطل والحسن والقبيح، فهو صفة مشتركة بين الناس.

وقد عرفه مراد وهبة في معجمه الفلسفي على أنه: "اسم مشترك لمعاني عدة فيقال لصحة الفطرة الأولى في الناس فيكون حده أنه قوة بها يجوز التمييز بين الأمور القبيحة والحسنة، ويقال عقل لما يكسبه الإنسان بالتجارب من الأحكام الكلية فيكون حده أنه معان مجتمعة في الذهن تكون مقدمات يستنبط بها المصالح والأغراض، ويقال عقل لمعنى آخر وحده أنه هيئة محمودة للإنسان"[(1)].

ويتضح من هذا أن للعقل ثلاث معاني، فهو فطرة في الإنسان وصفة مشتركة بين جميع الناس ويستطيع الإنسان أن يميز به بين الأمور الحسنة والقبيحة، ويطلق لفظ عقل على كل ما يكتسبه الإنسان من خلال التجربة والأحكام اليقينية.

وعرف رحيم أبو رغيف العقل بأنه "مجموع المبادئ القبلية (oprioria) المنظمة للمعرفة كمبدأ عدم التناقض، ومبدأ السببية، ومبدأ الغائية، وتتميز هذه المبادئ بضرورتها وكليتها واستقلاليتها عن التجربة، ويطلق العقل عن الوظائف النفسية من قبيل الإدراك والذاكرة، والتداعي، والتخيل، والحكم، والاستدلال، وقد يرد من معاني العقل قوة الإصابة أو القطع في الحكم"[(2)].

"وأورد الفلاسفة للعقل أكثر من إطلاق والمشهور ثمانية: العقل بالمعنى العامي البسيط، والعقل العملي، والعقل النظري، والعقل الهيولاني، والعقل بالملكة، والعقل بالفعل، والعقل المستفاد، والعقل الفعال"[(3)].

[(1)]– مراد وهبة: المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة، (د.ط)، 2007، ص424.

[(2)]– رحيم أبو رغيف الموسوي: الدليل الفلسفي الشامل، جزء 02، دار المحجة البيضاء، بيروت، ط1، 1434هـ/2013م، ص253.

[(3)]– نفسه، ص253.

أي أن العقل يقوم على عدة مبادئ، وهذه المبادئ تتميز باستقلالها عن التجربة، وكذلك العقل مرتبط بالوظائف النفسية، فمصطلح العقل يختلف تعريفه من فيلسوف إلى آخر، وقد أورد الفلاسفة للعقل أكثر من إطلاق وتعتبر كلها شاملة لمفهوم العقل.

وهناك من يعتبر أن العقل ينقسم إلى قسمين، "عقل عملي وعقل نظري، فالعقل النظري ينصب على الإدراك والمعرفة، أما العقل العملي فيطلق على السلوك الأخلاقي"[1].

بمعنى أن العقل العملي هو ما يعبر عنه بالحسن والقبح، والخير والشر، فهو المدرك لما ينبغي فعله أو تركه، فيستخدم الناس العقل العملي من أجل اتخاذ القرار بشأن ما، والعقل النظري يعتبر عقل مدرك للواقعات، كإدراك العقل مثلا لوجود الله تعالى.

ويرى محمود حمدي زقزوق أن: "العقل – النفس – الذهن أسماء مختلفة لمسمى واحد، وتسمى نفسا لكونها متصرفة في البدن، وتسمى عقلا لكونها مدركة، وتسمى ذهنا لكونها مستعدة للإدراك، وقيل العقل قوة تدرك بها حقائق الأشياء محلها الرأس وقيل محلها القلب"[2].

أي أن العقل ورد بعدة معاني، وارتبط مفهوم العقل بالنفس والذهن أيضا، فيعتبر العقل جزء من النفس، ويسمى العقل بالذهن لأنه مستعد للإدراك، كون العقل قوة تدرك به حقائق الأشياء.

وكذلك اهتم الإسلام بالعقل ورد بعدة معاني، وارتبط مفهوم العقل بالنفس والذهن أيضا، فيعتبر العقل جزء من النفس، ويسمى العقل بالذهن لأنه مستعد للإدراك، كون العقل قوة تدرك به حقائق الأشياء.

وكذلك اهتم الإسلام بالعقل، فقد وردت كلمة عقل في القرآن الكريم بصفات مختلفة ومعاني متعددة، مدح الله عز وجل من خلالها العقل ودعا إلى النظر والتأمل والتدبر، مثل

---

(1)– محمود حمدي زقزوق: الموسوعة الإسلامية العامة، مرجع سابق، ص981.

(2)– نفسه، ص981.

ذلك قوله عز وجل في سورة يوسف «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرآناً عَرَبِياً لَعَلَكُمْ تَعْقِلُونْ»[1]. **(سورة يوسف:الآية 02).**

ثانيا: تعريف النقل:

1- النقل لغة:

عرف النقل في معجم لسان العرب لابن منظور أنه: "تحويل الشيء من موضع إلى موضع، نقله، ينقله، نقلا، فانتقل، والتنقل، التحول، ونقله تنقيلا، إذا أكثر نقله"[2].

كما عرفه لالاند على أنه: "عملية نقل شيء ما (غرض، منشأة، ملكية، حالة) من مكان إلى آخر أو من شخص إلى آخر"[3].

"والنقل أصل صحيح يدل على تحويل شيء من مكان إلى مكان ثم يفرع ذلك، يقال: نقلته، أنقله، نقلا"[4].

ولقد عرفه جميل صليبا أيضا بقوله: "النقل تحويل شيء من مكان إلى آخر، أو من شخص إلى آخر"[5].

2- النقل اصطلاحا:

النقل مفهوم متداول، تعددت تعاريفه من مفكر إلى آخر، وذلك بسبب اختلاف المذاهب، فهو مصطلح متعدد المعاني، حيث يعرفه عبد المنعم حفني بأنه "الحركة في المكان، والنقلة تغيير من مكان إلى مكان، والمنقول ما كان مشتركا بين المعاني وترك

---

(1)- سورة يوسف: الآية 02.

(2)- ابن منظور: لسان العرب، مرجع سابق، ص4529.

(3)- أندري لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، مجلد 03، (المادة: النقل)، تعريب: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، ط2، 2001، ص1479.

(4)- أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة، جزء 05، (المادة: النقل)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (د.ط)، (د.ت)، ص463.

(5)- جميل صليبا: المعجم الفلسفي، مرجع سابق، ص503.

استعماله في المعنى الأول، ويسمى به لنقله من المعنى الأول، والناقل إما الشرع فيكون منقولا شرعيا، كالصلاة فإنها في اللغة للدعاء ثم نقلها الشرع إلى الأركان المخصوصة"[1].

أي أن النقل هو تحويل شيء ما من مكانه الأول إلى مكان ثاني مع الحفاظ على نفس المعنى، فالصلاة مثلا نجد معناها الأول في اللغة كان للدعاء، ثم نقلها الشرع إلينا وأصبحت من الأركان المخصوصة مع المحافظة على معناها الأول.

"ويقال لأدلة الكتاب والسنة، الأدلة النقلية، ويقال لها السمعية، ويقال لها الخبرية والأدلة المأثورة وكلها بمعنى واحد وهي الأدلة المسموعة المنقولة عن كتاب الله العزيز والسنة المطهرة أو الأدلة التي نقلها إلينا نقلة الحديث والرواة"[2].

إذا فالنقل مصطلح يطلق على الوحي والشريعة وهو كلام الله عز وجل المتمثل في القرآن الكريم، الذي نقل إلينا على لسان الرسول محمد صلى الله عليه وسلم عن طريق الوحي، ونقل إلينا بالتواتر، فكلمة نقل تطلق كذلك على السنة النبوية وكذلك على كلام الصحابة.

المبحث الثاني: مسيرة ابن تيمية:

يعتبر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله من كبار العلماء في عصره، حيث بلغ من العلم والتقي ما بلغ، وقد بلغ صيته أرجاء المعمورة في تلك العصور، وإلى عصرنا هذا، وقد تناولت في هذا المبحث التعريف بابن تيمية، وأهم ما جاء به، والمنهج الذي كان يتبعه.

أولا: نسبه ومولده: "هو تقي الدين، أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم، بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن الخضر بن محمد بن تيمية الحراني ثم الدمشقي، الإمام الفقيه، المجتهد المحدث، الحافظ المفسر، الأصولي الزاهد الناقد، نادرة العصر ذو التصانيف

[1]– عبد المنعم حفني: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مرجع سابق، ص897.

[2]– محمد أمان بن علي الجامي: العقل والنقل عند ابن رشد، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الرياض، ط3، 1404هـ، ص14.

والذكاء، والحافظة المفرطة، شيخ الإسلام وعلم الأعلام"[1]، فقد اشتهر ابن تيمية بالحفظ والتفسير ودراسته لعلوم الفقه وسمي بشيخ الإسلام لفقهه بأمور الدين.

"وولد –رحمه الله– بحران، يوم الاثنين، العاشر، وقيل: الثاني عشر من شهر الربيع الأول سنة 661هـ، وبعد ست سنين اضطرت عائلة إلى الرحيل عن حران بسبب جور التتار، وكاد العدو أن يدركهم، لو لا لطف الله بهم واستغاثتهم به –سبحانه– وقد كانوا يحملون كتبهم على عجلة لعدم وجود الدواب، ثم قدموا دمشق سنة 667هـ"[2].

"والده: هو العالم المفتي شهاب الدين عبد الحليم، وجده: هو الإمام شيخ الإسلام مجد الدين أبو البركات مؤلف كتاب الأحكام) وتيمية لقب جده الأعلى"[3].

ذهب –رحمه الله– إلى دمشق وتلقى العلم على مشايخها، واعتنى بالحديث فسمع المسند مرات عديدة والكتب الستة، ومعجم الطبراني الكبير، وما لا يحصى من كتب السلف الصالح في شتى في شتى مناحي العلم، ثم أقبل على التفسير إقبالا كليا حتى سبق فيه، وأحكم أصول الفقه، كل ذلك وهو ابن بضعة عشرة سنة، فانبهر علماء عصره من فرط ذكائه"[4].

أي أن ابن تيمية نشأ وولد في حران، إلى أن بلغ سن السادسة من عمره، اضطرت عائلته إلى الهجرة إلى مدينة دمشق واستقروا هناك، بسبب التتار، وقد تلقى العلم في مدينة دمشق وحفظ القرآن الكريم، وكذلك درس تفسير القرآن وأصول الفقه، وكان من أبرز علماء عصره في التفسير، وامتاز بالذكاء حتى أن علماء عصره انبهروا به، وقيل أنه شرع في

---

[1]– أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق: علي بن حسن بن ناصر وآخرون، مجلد 1، دار العاصمة، الرياض، السعودية، ط2، 1419هـ/1999م، ص9.

[2]– نفسه، ص10.

[3]– نفسه، ص9.

[4]– ابن تيمية: أهل الصفة وأحوالهم، تحقيق: مجدي فتحي السيد، دار الصحابة للتراث، طنطا، ط1، 1410هـ/1990م، ص9.

التدريس والتأليف وهو في سن صغير، فأخذ مكان والده في التدريس بعد وفاته، وقد ظهر أثره في العالم الإسلامي، وواجه السجن والاعتقال عدة مرات بسبب المسائل التي كان يتكلم فيها.

ثانيا: عقيدته ومذهبه:

1- **عقيدته:** " استمد دينه وعقيدته من قوله عز وجل وقول رسوله -صلى الله عليه وسلم-، وكان يقول بقول أئمة الإسلام، المشهود لهم ولم يخرج قيد أنملة عن ذلك وكتبه كلها تشهد بذلك، وأقواله هي أقوال أهل العلم من قبله"[1].

فشيخ الإسلام عقيدته الدين الإسلامي، فقد اعتمد على كتاب الله عز وجل الذي أنزله على رسوله الكريم، وكذلك على السنة النبوية الشريفة وما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من أحاديث، وثم على أقوال الصحابة رضي الله عنهم والتابعين لهم من أئمة الإسلام وكل هذا كان واضحا من خلال كتاباته.

" وكان شديد الانتصار لمذهب السلف والدفاع عنه بالحجج العقلية والنقلية، وقد عقدت له مناظرات في مصر والشام كان معظمها يحول حول هذه القضية"[2].

وقد نظم شيخ الإسلام قصيدة يبين فيها عقيدته حيث يقول في كتابه العقيدة الواسطية:

"يا سائلي عن مذهبي وعقيدتي رُزق الهدى من للهداية يسأل
اسم كلام محقق في قوله لا يثنى عنه ولا يتبدل
حب الصحابة كلهم لي مذهب ومودة القربى بها أتوسل

[1]- ابن تيمية: أربعون حديثا، تعليق: أحمد إبراهيم الخارج، مؤسسة الريان، بيروت، لبنان، ط1، 1418هـ/1997م، ص17.

[2]- محمد بهجة البيطار: حياة شيخ الإسلام ابن تيمية تقي الدين أحمد عبد الحليم الحراني الدمشقي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1407هـ/1986م، ص27.

ولكلهـم قدر عـلا وفضائـــل لكنما الصديـق منهم أفضـل

وأقول في القرآن ما جاءت به آيـاتـــه فـهو الكريـم المنزل

وأقـــول قـــال الله جل جـلاله والمصطفى الهادي ولا أتأوّل"[1].

2- مذهبه الفقهي: نشأ حنبليا ثم صار لا يفتي بمذهب معين، بل بما قام الدليل عليه عنده، ولقد نصر السنة المحضة، والطريقة السلفية، واحتج لها ببراهين ومقدمات وأمور لم يسبق إليها، وأطلق عبارات أحجم عنها الأولون والآخرون وهابوا، وجسر هو عليها[2].

"وكان شيخ الإسلام يعتد بالنص -قرآنا وسنة- فإذا وجد نصا أفتى بموجبه ولم يلتفت إلى من خالفه كائنا من كان، فقد كان يدور مع النص ويفتي به"[3].

"ففقه شيخ الإسلام منه ما وافق الأئمة الأربعة ومنه ما خالفهم فيه للنص، ومنه ما وافق جمهورهم، ومنه ما كان فيه وسطا بين المذاهب"[4].

أي أن شيخ الإسلام ابن تيمية نشأ حنبلي المذهب كما هو معروف، إلا أنه لم يلتزمه في كل آرائه وفتاويه بل اعتمد أيضا على الكتاب الكريم والسنة النبوية الشريفة، وكذلك كان مجتهدا يقول ويفتي بما قام عليه الدليل وإن خالف مذهب إمامه أو مذاهب الفقهاء الآخرين.

ثالثا: مؤلفاته ووفاته:

1/ مؤلفاته:

كما سبق لنا أن ذكرنا فإن شيخ الإسلام كان سريع الحفظ، فقد كان أشبه بموسوعة، فتميز بسرعة الكتابة وخلف من ورائه العديد من المؤلفات، "وقد قدرت أعماله الكاملة في

---

[1]- أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية: العقيدة الواسطية، تحقيق: علوي بن عبد القادر السقاف، الدرر السنية، السعودية، ط1، 1433هـ، ص12.

[2]- نفسه، ص11.

[3]- ابن تيمية: أربعون حديثا (مصدر سابق)، ص18.

[4]- نفسه، ص19.

التأليف من ثلاث مائة مجلد إلى خمس مائة مجلد، وقد ذكر ابن شاكر كثر من هذه الكتب مرتبة حسب موضوعها، من كتب التفسير إلى كتب الأصول، إلى كتب أصول الفقه ثم الكتب الشتى في أنواع شتى"[1].

"يقول الحافظ البزار: « وأما مؤلفاته ومصنفاته فإنها أكثر من أن أقدر على إحصائها، أو يحضرني جملة أسمائها، بل هذا لا يقدر عليه غالبا أحد، لأنها كثيرة جدا، كبارا وصغارا، وهي منشورة في البلدان »"[2].

أما تلميذه ابن القيم فقد ذكر نحوا من سبع وثلاثين وثلاث مائة مصنف للشيخ، إجابة لمن سئل عن تعداد ما ألفه شيخ الإسلام، وذكر أن هذا هو الذي يحضره وأنه لم يستوعبها"[3].

ونختار بعضا من مؤلفاته، فنذكر منها: "اقتضاء الصراط المستقيم، رفع الملام عن الأئمة الأعلام، التوسل والوسيلة، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، السياسة الشرعية

في إصلاح الراعي والرعية، الفرقان بين أولياء الرحمة وأولياء الشيطان، العقيدة الواسطية، الفرقان بين الحق والباطل"[4] وغيرها من المؤلفات الأخرى التي ملأت المكتبات الإسلامية، وصارت محط أنظار أهل العلم والطلبة، ككتاب درء تعارض العقل والنقل والفتاوى وغيرهم.

---

(1)– أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (مصدر سابق)، ص14.

(2)– أبي العباس تقي الدين أحمد بن تيمية: الفتوى الحموية الكبرى، تحقيق: حمد بن عبد المحسن التويجري، دار الصميعي، الرياض، السعودية، ط1، 1419هـ/1797م، ص47.

(3)– نفسه، ص47.

(4)– ابن تيمية: أهل الصفة وأحوالهم (مصدر سابق)، ص14.

2/ وفاته:

"توفي –رحمه الله– وهو في السجن يوم الاثنين الموافق للعشرين من شهر ذي القعدة سنة 728 هـ وكان عمره ثمان وستين سنة، وكان يوم وفاته يوما مشهودا حيث خرج أهالي دمشق جميعهم من رجال ونساء وصبيان في تشييع جنازته تعبيرا عما يكنونه من الحب والتقدير لهذا الإمام العظيم"[1].

"وقد قدر الذين حضروا جنازته بأنه أكثر من خمس مائة ألف (نصف مليون) وقيل لم يسمع في جنازة بمثل هذا الجمع إلا في جنازة الأمام أحمد بن حنبل"[2].

وقد كان آخر ما انتهى إليه الشيخ قبيل وفاته قوله تعالى: «إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ»[3]". **(سورة القمر: الآية: 5-55).**

كانت حياة شيخ الإسلام ابن تيمية حافلة بالدعوة، والتأليف، والجهاد والتدريس والفتوى، وبالرغم من أنه لم يخلف مالا لكنه خلف وراءه زاد فكري عظيم والعديد من المؤلفات، وقيل أنه لم يتزوج في حياته، وقد رثي بمراثي كثيرة من علماء عصره، وممن بعدهم فهو علم من الأعلام، لا يضره قول من تكلم فيه.

رحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية، وأسكنه في جنة الخلد، وجزاه الله عنا وعن المسلمين خير الجزاء.

---

(1)– سعود بن صالح العطيشان: منهج بن تيمية في الفقه، العبيكان، الرياض، السعودية، ط1، 1420هـ/1999م، ص59.

(2)– أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (مصدر سابق)، ص21.

(3)– أبي العباس تقي الدين أحمد بن تيمية: الفتوى الحموية الكبرى، (مصدر سابق)، ص38.

المبحث الثالث: إشكالية علاقة العقل والنقل عند المتكلمين

تعتبر مسألة العقل والنقل مسألة في عالمنا الإسلامي، وقد تبناها العديد من الفلاسفة، وكان للمتكلمين كذلك آرائهم الخاصة حول إشكالية العقل والنقل، فهناك من أعطى للعقل جانبا مهما وقدمه على الجانب النقلي، وهناك من أعطى أهمية للنقل على النقل، ونتيجة هذا الاختلاف ظهرت العديد من الفرق الكلامية، فبعض الفرق مجدت العقل وجعلته في المقام الأول، وفرق أخرى لم تعط للعقل أهمية، وقدست الجانب النقلي، وقد اتخذت في هذا المبحث فرقتا المعتزلة والأشاعرة كتيار بارز ضمن الفرق الكلامية.

أولا: المعتزلة:

"فرقة ظهرت في الإسلام في أوائل القرن الثاني، وسلكت منهجا عقليا متطرفا في بحث العقائد الإسلامية، وهم أصحاب واصل بن عطاء الغزال الذي اعتزل مجلس الحسن البصري"[(1)]، أي أنها تعتبر من أقدم الفرق الكلامية وركزت على الجانب العقلي.

واسم المعتزلة لم يطلق على الذين أنشئوا المدرسة الكلامية الجديدة للدلالة على أنهم انفصلوا على أهل السنة وتركوا مشايخهم القدماء ورفقائهم وإنما أطلق للدلالة على موقفهم كأناس مبتعدين محايدين بين طرفي رجال الدين والساسة في وقت ما"[(2)].

من أسباب نشأة فرقة المعتزلة "تلك الخلافات والصراعات التي قسمت المسلمين حول موضوع الخلافة، فكان لا بد أن تقوم بينهم جماعة تعتزل الكل وتعزل الفتنة وأطرافها لا يحاربون مع علي ولا يحاربون ضده وهؤلاء هم المعتزلة"[(3)]، أي أن فرقة المعتزلة نشأت بسبب النزاع على الخلافة، فقد انقسم المسلمين، فهناك من كان يحارب مع علي وهناك من كان ضده، وقد ظهرت هذه الفرقة لتحل تلك المشاكل ويضعوا أحكاما ترضي الجميع.

[(1)]– مصطفى بن محمد بن مصطفى: أصول وتاريخ الفرق الإسلامية، (د.ط)، 1424هـ، 2003م، ص371.

[(2)]– عبد الرحمن بدوي: التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، مكتبة النهضة، مصر، (د.ط)، 1940م، ص183.

[(3)]– يحي هويدي: دراسات في علم الكلام والفلسفة الإسلامية، دار الثقافة، القاهرة، ط3، 2002م، ص102.

تعتبر هذه الفرقة من أقدم الفرق التي عالجت مشكلة العقل والنقل، "ولعل السبب في ولوع المعتزلة بالمناهج العقلية والفلسفة هو كثرة الأديان والمذاهب في البلاد الإسلامية المفتوحة من يهودية، ونصرانية، ومجوسية، وزرادشتية، إلى غير ذلك من الطوائف التي تؤمن بالنقل الممثل في الكتاب والسنة، مما كان له الأثر في إثارة بعض المسائل البدعية، ومنها بدعة تقديم العقل والنقل"[(1)]، أي أن المعتزلة من أول الفرق الكلامية التي قدمت العقل على النقل، واعتبروا بأن العقل أعلى مرتبة وقد أعلوا من شأنه كما أنهم كانوا متأثرين بالفلسفات التي كانت قبلهم ومجدت دور العقل في المعرفة الإنسانية، "وقد مارس المعتزلة التعقل داخل دائرة الإسلام واعتبروا أن العقل رسول من الله للإنسان والشريعة تنزل لطفا من الله بالبشر وتنزل بما يقره العقل، وقد استندت المعتزلة في آرائها على حجج شرعية تدل على مدى استفادتها من التراث الديني الإسلامي"[(2)].

ويرى المعتزلة أنه بالعقل يمكن إدراك الغموض وقبح الأشياء، والوصول إلى الجانب الوضوح، وتوازن المعتزلة ومنهم القاضي عبد الجبار بين الدليل العقلي والدليل النقلي ويؤكد تطابق الدليلين، وأن الوصول إليهما يكون معتمدا على المعيار العقلي"[(3)]، فبالرغم من أن القاضي عبد الجبار وقد وازن بين الدليل النقلي والدليل العقلي إلا أنه ركز على أنه لا يمكن الوصول إليهما إلا بالاعتماد على التيار العقلي.

[(1)]– سهيل بن رفاع بن سهيل العتبي: التيار العقلي لدى المعتزلة وأثره في حياة المسلمين المعاصرة، شبكة الألوكة، الرياض، ص9.

[(2)]– خضراوي عائشة: جدلية العقل والنقل عند المعتزلة، بوزيرة عبد السلام، قسم الفلسفة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف المسيلة، 2019/2018، ص33.

[(3)]– ليلى عباس خميس: أثر العقل في وضوح دلالة الخطاب اللغوي عند عبد الجبار المعتزلي، مجلة كلية التربية الأساسية، العدد 75، 2012، بغداد، ص95.

وقد ميز المعتزلة بين أدلة العقل وأدلة الشرع، أو ما عرف بعد ذبك في علم الكلام بالعقل والنقل"[1].

"والتكليف العقلي عند المعتزلة سابق على التكليف الشرعي، وأن الوضوح في المعرفة شرط لفهم الشرع، وهو ما عبروا عنه بأسبقية العقل على النقل"[2].

"كما اعتبرت مسألة المتشابه في الآيات في القرآن الكريم من أهم المسائل التي كان لها دور كبير في ظهور الجدل والنقاش، وهذا الجدل والحوار والنقاش رفع من شأن العقل حيث ثم اتخاذ التأويل العقلي كوسيلة لفهم تلك النصوص"[3]، والتأويل يزيل الغموض والإشكال الذي يكون في الآيات القرآنية وكذلك يساعد في فهم النصوص التي يكون فيها غموض، وذلك عن طريق ردها إلى نصوص أخرى واضحة وإزالة غموضها، وفهمها فهما صائبا، وتأويلها تأويلا صحيحا.

"التأويل يزيل الغموض الذي يلازم المتشابه بوساطة القرينة التي تقربه من المحكم، إذ أن المتشابه لا يدل على المراد بوضوح كما يدل عليه المحكم إذ يعتريه الغموض على العكس من المحكم، من أجل إزالة هذا الغموض يلجأ المعتزلة إلى استعمال التأويل العقلي، ويصبح هذا التأويل قوة تزيل عنه المتشابه وتقربه من المحكم"[4].

ومن الآيات التي لجأ المعتزلة إلى تأويلها "في قوله «ويَبْقَى وَجْه رَبِكَ ذُو الجَلَال والإكْرَام» يؤولون الوجه بأنه هو الله نفسه لأننا نقول في اللغة قلبت الأمر على وجوهه، وقـولـه تعالـــى: «وتَجْرِي بأَعْيُنِنَـا» يقولون أي بعلم منا، وفي قوله: «ولِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِــي»

[1]– نصر حامد أبو زيد: الاتجاه العقلي في التفسير دراسة في قضية المجاز في القرآن عند المعتزلة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط3، 1996، ص45.

[2]– ليلى عباس خميس: أثر العقل في وضوح دلالة الخطاب اللغوي عند القاضي عبد الجبار المعتزلي (م.س)، ص96.

[3]– خضراوي عائشة: جديلة العقل والنقل عند المعتزلة، (م،س)، ص33.

[4]– ليلى عباس خميس: نفسه، ص102.

يقولون أي برعاية مني، والاستواء في قوله: «الرَحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى»، معناه عندهم الاستلاء، والفوقية في قوله: «يَخَافُونَ ربَّهُمْ مِنْ فَوقِهِمْ»، تعني العلو والرتبة، كما في قوله: «وهُو القَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِه»[1].

ومن هنا نجد أن إشكالية العقل والنقل تعتبر محور رئيسي في فكر المعتزلة، الذين حاولوا أن يجدوا حل لها بتأسيس الدين على العقل أي أن العقل يعتبر مرجعا في أمور الدين، ولا تزال هذه الإشكالية مشكلة نزاع إلى يومنا في الفكر الإسلامي.

ثانيا: الأشاعرة:

ظهرت الأشعرية بعد أن تنفس الناس الصعداء من سيطرة المعتزلة في القرن الثالث الهجري، وهي في الأصل نسبة إلى أبي الحسن الأشعري[*]، ظهر بالبصرة وكان أول أمره على مذهب المعتزلة ثم تركه واستقل عنهم، ولقد أصبح الانتساب إلى الأشعري هو ما عليه أكثر الناس في البلدان الإسلامية"[2]، فالأشاعرة فرقة كلامية إسلامية، اهتمت بقضية العقل والنقل، ولكنها لم تقدم العقل على النقل كما فعلت المعتزلة.

"وانبثق مذهب الأشعري في أواخر القرن الثالث الهجري، بعد أن أعلن الأشعري رجوعه عن الاعتزال، واختار طريق ينزع إلى الاعتدال والتوسط بين الوحي والعقل"[3]، يتضح لنا أن الأشاعرة حاولوا التوفيق بين العقل والنقل، ولكن في بعض المسائل اهتموا بالجانب النقلي، "ولو تفحصنا مصنفات وأقوال الأشاعرة المبرزة لمكانة النقل المتضمن

---

(1)– يحي هويدي: دراسات في علم الكلام والفلسفة الإسلامية، دار الثقافة، القاهرة، ط2، (د.ت)، ص113.

(*) هو علي بن إسماعيل الأشعري ينتسب إلى أبي موسى الأشعري، متكلم وفقيه عربي، ولد في البصرة، سنة 260هـ/873م، ومات في بغداد سنة 324هـ/935م، وتنتسب إليه الأشعرية. (جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط3، 2006، ص65).

(2)– مصطفى بن محمد بن مصطفى: أصول وتاريخ الطرق الإسلامية، (مرجع سابق)، ص593.

(3)– زياد بن عبد الله بن إبراهيم الحماد: مصادر التلقي عند الأشاعرة، دار الهدى النبوي، مصر، ط1، 1436هـ/2015م، ص30.

لنصوص الكتاب والسنة فإن أبا الحسن الأشعري حكي اجتماع سلف الأمة على التصديق بالقرآن والإقرار بكل ما ورد فيه جملة وتفصيلا والرجوع إليه في قضايا الدين، إذ يقول: أجمعوا على التصديق بكل ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتاب الله..."[1].

أي أن الأشاعرة اهتموا بالجانب الديني، وكانوا يعتمدون على القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة في جل قضاياهم المختلفة، فقد اتفقوا على حجية النص الديني، كما اتفقوا كذلك على السنة النبوية الشريفة كونها كلام النبي صلى الله عليه وسلم.

وقد اتفق أئمة الأشاعرة على القول بحدود العقل ونسبيته، فقد "تبين سلفا مشكلة الدليل النقلي الذي خالف ظاهرة النقل، في حين أن المتكلم الأشعري يؤمن في قرار نفسه أن هذا الدليل حجة واجبة الإتباع وأن له معنى خفيا أراد الله من العباد أن يفهموه"[2].

فنلاحظ أن الأشاعرة ركزوا على النقل رغم أنهم لم يهملوا دور العقل، فهم ينطلقون من حجج نقلية ومن ثم يفسرونها بأدلة عقلية، عكس المعتزلة.

ولا يختلف الأشاعرة عن المعتزلة في التأويل، وقد "مر التأويل الكلامي عند الأشاعرة بمراحل مختلفة عبر مسيرة المذهب"[3].

من كل هذا نستنتج أن الأشاعرة لم تلغي العقل ولم تهمله، بل احترمت العقل ولكن لم تقدمه على النقل، فقد استخدموا الأدلة العقلية في جميع مناظراتهم.

المبحث الرابع: جدلية علاقة العقل والنقل عند فلاسفة الإسلام

لقد تناولت في هذا المبحث جدلية العلاقة بين العقل والنقل من أجل الوقوف على الإرهاصات الأولى عند الفلاسفة المسلمين، حول تأويل النص وإبراز دور ومكان العقل

---

[1]– زياد بن عبد الله بن إبراهيم الحماد، مصادر التلقي عند الأشاعرة، (مرجع سابق)، ص229.

[2]– نفسه، ص252.

[3]– نفسه، ص254.

وعلاقته بالنقل، فقد تعرض لهذه المشكلة العديد من الفلاسفة، وقد جاء اقتصاري في هذا المبحث على الغزالي وابن رشد كوقفات لهذا المبحث.

أولا: أبو حامد الغزالي:

عندما نتكلم عن "علاقة العقل عند الغزالي[*] نجد أن هناك من ينفي هذه العلاقة على اعتبار أن الغزالي رفض الفلسفة، كما نجد أن هناك من يثبتها على اعتبار أن هناك نفحات عقلية في بعض المواضيع التي تناولها الغزالي"[1]، فيقول: "«نور العقل كرامة لا يخص الله بها إلا الآحاد من أولوياته، والغالب على الخلق القصور، فهم لقصورهم لا يدركون براهين العقول كما لا تدرك نور الشمس أبصار الخفافيش، فهؤلاء لا تضر بهم العلوم»"[2].

"كما أن الغزالي جمع بين العقل والنقل خير جمع، هذا فضلا عن توفيقيته كانت متكاملة، إذا أخصى الأقاويل السلبية التي قيلت بشأن عدم اتفاق العقل والنقل وأحالها إلى عمى في البصيرة وخلل في الذات وخيال ناقص وأحكام ظنية، وهكذا يعلن الغزالي عدم الاستغناء عن العقل"[3].

فالغزالي أعلى مكانة ودور العقل، وقد تبين من هذا القول أن الغزالي قد جمع ووفق بين العقل والنقل، ويظهر هذا في كتابه، الاقتصاد في الاعتقاد، حيث يقول:

---

[*] الغزالي: فيلسوف ومتكلم وفقيه ومتصوف عربي، ومن أبرز مفكري العصر الذهبي في الإسلام، لقبه أبناء دينه حجة الإسلام، ولد في طوس بخراسان (شمال شرقي فارس) سنة 1059م/450هـ ومات فيها في 19 كانون الأول 1111م/501هـ. (جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة، مرجع سابق، ص429).

[1]– كيورك موزينا كروهي وسامي محمود إبراهيم: إشكالية العقل والنقل بين الغزالي وابن رشد، مجلة كلية العلوم الإسلامية، العدد 15، 1435هـ/2014م.

[2]– نفسه.

[3]– نفسه.

"«فمثال العقل البصر السليم عن الآفات واللأدواء، ومثال القرآن الشمس المنتشرة الضياء، فأخلق بأن طالب الاهتداء، المستغني بأحدهما عن الآخر في غمار الأغبياء»"[1].

وتحدث كذلك عن العقل والنقل في كتابه المستصفى، حيث يرى بأن "أشرف العلوم ما ازدوج فيه العقل والسمع، واصطحب فيه الرأي والشرع وعلم الفقه وأصوله من هذا القبيل، فإنه يأخذ من صفو الشرع والعقل على سواء السبيل: فلا هو تصرف بمحض العقول بحيث لا يتلقاه الشرع بالقبول، ولا هو مبني على محض التقليد الذي لا يشهد له العقل بالتأييد والتسديد"[2].

قال الغزالي" "أعلم أن العقل لا يهتدي إلا بالشرع، والشرع لا يتبين إلا بالعقل فالعقل كالأسس، والشرع كالبناء ولن يغني أسس ما لم يكن بناء، ولن يثبت بناء ما لم يكن أسس"[3].

"يستنتج من هذا أن الغزالي يدعو إلى الأخذ بالعقل والنقل والملازمة بينهما لكونهما نور على نور"[4].

لقد دعا الغزالي للتوفيق بين العقل والنقل، فالدين يأمرنا بإعمال العقل، إذا فالعقل والنقل مفهومان متلازمان لا يمكن أن نفصل بينهما.

فالغزالي وازن "المعقول بالإسناد إلى المنقول ليكون القول منهما أسرع إلى القبول، وذلك بأن يجعل المنقول أصلا والمعقول تابعا ورديفا"[5].

---

[1]– أبي حامد محمد بن محمدين بن محمد الغزالي: الاقتصاد في الاعتقاد، دار المناهج، (د.ط)، (د.ت)، ص66.

[2]– أبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي: المستصفى من علم الأصول، ج1، (د.ط)، (د.ت)، ص10.

[3]– كامل حمود: دراسات في تاريخ الفلسفة العربية، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1990، ص174.

[4]– نفسه، ص175.

[5]– حسن الفاتح قريب الله: دور الغزالي في الفكر، مطبعة الأمانية، مصر، (د.ط)، 1398هـ/1978م، ص71.

ثانيا: ابن رشد:

اعتبر ابن رشد[*] أن جدلية العلاقة بين العقل والنقل مسألة مهمة في الفكر الإسلامي، باعتبار أن العقل نور أكرم الله سبحانه وتعالى به الإنسان وميزه على سائر الكائنات الأخرى فبإعمال العقل يفهم الإنسان ويتدبر القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فالمعارف العقلية لا يمكن أن تتعارض مع الحقائق الدينية.

كما يرى ابن رشد أن من الواجب لمن يريد أن يدرس النصوص الشرعية أن يكون متمكنا من علم المنطق، فإذا كان الشرع قد حث على معرفة الله وسائر موجوداته بالبرهان كان من الضروري لمن أراد أن يعلم الله تعالى وسائر الموجودات بالبرهان أن يعلم أنواع البراهين العقلية"[1].

"ويرى ابن رشد أن هناك أمور لا يستطيع العقل وحده الوصول إليها ولا بد له من الاستعانة بالوحي فيها مثل المعرفة والسعادة والشقاء الإنساني في هذه الحياة الدنيا والآخرة، ووسائل هذه السعادة، وأسباب هذا الشقاء، فسعادة الإنسان التي هي الغاية المشتركة بين مباحث الفلسفة والدين تبنى على أسس أخلاقية وفضائل عملية"[2].

"وإذا كان العقل هو الذي دلنا على معرفة الله عزل وجل وعلى محمدا رسول الله حقا فأي معارضة تفرض بين العقل وبين ما جاء به الكتاب والسنة، أو رد خبر الله وخبر رسوله بحجة مخالفتهما للعقل، تعتبر مناقصة صريحة لما دل عليه العقل نفسه"[3].

---

[*] ابن رشد: أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد، فيلسوف عربي، ولد في قرطبة (الأندلس) سنة 530هـ/1126م، وتوفي في 9 صفر 595هـ/ 10 كانون الأول 1198م في مراكش بالمغرب.(جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة، (مرجع سابق)، ص23).

[1]– كيورك موزينا كرومي وسامي محمود إبراهيم: إشكالية علاقة العقل بالنقل بين الغزالي وابن رشد، (مرجع سابق).

[2]– عبد الرحمن التليلي: ابن رشد الفيلسوف العالم، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، (د.ط)، 1998، ص148.

[3]– محمد أمان بن علي الجامي: العقل والنقل عند ابن رشد، (مرجع سابق)، ص12.

ونلاحظ أن ابن رشد لم يعط أهمية مطلقة للأحكام العقلية وتجريدها من إحساسات الإنسان بواقعه ومحيطه، بل أدرك أن الإنسان يبدأ بإدراك هذا الواقع عن طريق الحواس ومن ثم تنبه إلى أهمية العقل في إدراك الموجودات ومعرفة أسبابها، فالعقل الذي يدرك أسباب الموجودات، يستطيع أن يدرك الموجودات"[1]، ونستنتج مما سبق أن ابن رشد يعتبر من أبرز المصادر التي دعت إلى وجوب الربط بين العقل والنقل، فهو يرى بأنهما يشتركان في عدة نقاط ولا داعي إلى الفصل بينهما، فكل من العقل والنقل يبحث في نفس المجال، فعمل العقل انحصر في مجال معرفة الله سبحانه وتعالى والإدراك والتأمل ومعرفة الموجودات التي تدل على وجود الخالق، ومن هنا يكشف لنا العقل على مقاصد الدين الذي يؤدي إلى معرفة الله، ومـن هنا ينفــي التعارض بين العقل والنقل، فلا يمكن أن يتعارض مـا خلق سبحانـه وتعالــى مع ما أنزل، فالغاية النهائية للعقل والدين هي تمكين الإنسان من الحقيقة، ولهذا يذهب ابن رشد إلى الأخذ بمبدأ التوفيق بين العقل والنقل.

بحيث أن "كلا منهما يقضي إلى الآخر، معنى ذلك أن المستلزمات العقلية نابعة من مقاصد الشرع، وهكذا يكون التوفيق بينهما في نظر ابن رشد قائما على تأكيد التعامل بينهما، وإثبات وظيفة العقل من وراء تأكيد أهمية الشرع[2]، ومن هنا يتبين أن العقل لا يتعارض مع النقل في نظر ابن رشد.

ثالثا: نقد ابن تيمية للغزالي وابن رشد:

لازالت قضية النقد تثير أشجانا في قلوب المسلمين، عبر تاريخهم ومواقف علمائهم، يتعدى ذلك إلى واقعهم وماضيهم العلمي والسياسي والاجتماعي والاقتصادي، ويقوم النقد عندهم على أسس دينية، تنص على إتباع الحق لا الهوى، والعدل لا الظلم، والنقد العقدي الذي هو غيرة على العقيدة والإيمان، والنصح لله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وقد كان

---

[1]– كيورك موزينا كرومي وسامي محمود إبراهيم: إشكالية علاقة العقل بالنقل بين الغزالي وابن رشد، (المرجع السابق).

[2]– نفسه.

الغزالي وابن رشد من أهم الناقدين في عصرهم، وقد اتبعهم ابن تيمية في طريقة النقد، ثم نقدهم ونقد العديد من الفلاسفة.

ويعتبر أبو حامد من مفكري الإسلامي، ولم يثر عالم من علماء المسلمين أكثر مما أثار من تمجيد ومدح واستنكار وقدح ومهاجمة، فقد شغل جميع دوائر الفكر الإسلامي بلا استثناء، وقد برع حجة الإسلام في كل الميادين وتعرض كذلك للنقد من ابن تيمية، حيث يقول عنه: "«أنه على الرغم من نقده للفلسفة، قد اتبع كثيرا من أصولها وإن كلامه لا هو إلى الإسلام المحض ولا إلى الفلسفة الصريحة بل يجعله برزخا بين الإسلام والفلسفة»"[1]؛ أي أن الغزالي نقد الفلسفة ثم أصبح يتبع الكثير من أصولها، وقد انتقده كذلك في كتابه درء تعارض العقل والنقل حيث قال: "فإذا كان المعلول لا يكون إلا مع علته التامة لزم ألا يحدث شيء من الحوادث إلا مع تمام علته، ولم يحدث حين حدوثه ما يوجب حدوثه علة تامة له وإن قدر حدوث ذلك لزم حدوث تمام علل ومعلولات في آن واحد وهو تسلسل في العلل، وذلك معلوم الفساد بصريح العقل واتفاق العقلاء"[2].

وقد اتهم ابن تيمية الغزالي بالتلبيس على المسلمين، وإلباس التصوف لباس الفلسفة، فيرى أن "كلام أبي حامد مع معرفته بالكلام والفلسفة وتعمقه في ذلك يذكر اتفاق سلف أهل السنة على ذم الكلام ويذكر خلاف من نازعهم، ويبين أن ليس فيه فائدة إلا الذي عن العقائد الشرعية التي أخبر بها الرسول صلى الله عليه وسلم لأمته والذي لم يكن فيه فائدة إلا الذي عن العقائد امتنع أن يكون معارضا لها فضلا على أن يكون مقدما عليها"[3].

---

[1]- محمد خليل هراس: ابن تيمية السلفي، المطبعة اليوسفية، طنطا، ط1، 1372هـ/1952م، ص36.

[2]- ابن تيمية: درء تعارض العقل والنقل، جزء 4، تح: محمد رشاد سالم، إدارة الثقافة، السعودية، ط2، 1411هـ/1991م، ص292.

[3]- ابن تيمية: درء تعارض العقل والنقل، جزء 7، تح: محمد رشاد سالم، إدارة الثقافة، السعودية، ط2، 1411هـ/1991م، ص165.

"فامتنع أن يكون الكلام العقلي المقبول مناقضا للكتاب والسنة، وجب أن يكون من الكلام الباطل المردود الذي لا ينازع في ذمة أحد من المسلمين"[1]. وبالرغم من أن ابن تيمية انتقد الغزالي في عدة مسائل لكنهم سلكوا نفس المنهج.

أما ابن رشد فقد عرف بتعليقاته وبشروحه للفلسفة، وقد اتهم بالإلحاد في نهاية حياته، وتعرض كذلك للنقد كأي مفكر، وهذا بسبب نقده للفلاسفة والمتكلمين، مثل الغزالي الذي كان قبله وتجند للتهجم على الفلاسفة.

وقد هاجمه ابن تيمية في عدة مسائل ومن بين هذه المسائل مسألة التركيب، فقد رد عليه ابن تيمية بقوله: "ما ذكرهّ أبو حامد مستقيم مبطل لقول الفلاسفة وما ذكره ابن رشد إنما نشأ من جهة ما في اللفظ من الإجمال والاشتراك"[2]، فابن رشد يعتبر رمزا للعقل، واعتبر أن الشرع لم يصرح في الإدارة لا بحدوث ولا بقدم، وقد انتقده ابن تيمية ورد عليه في كتابه حيث قال: "الكلام في الإدارة وتعددها، أو وحدة عينها، أو نوعها، أو عمومها، أو خصوصها وقدمها، أو حدوثها، أو حدوث نوعها، أو عينها، وتنازع الناس فذلك ليس هذا موضعه وهي من أعظم محارات النظار"[3].

وقال أيضا في موضع آخر: "العمل الذي أصله حب الله تعالى أمر الشرع به لأنه مقصود في نفسه، وهو معين على حصول العلم النافع كما أنه معين على حصول عمل آخر صالح كما أن الشرع أمر بالعلم بالله تعالى لأنه مقصود في نفسه، وهو معين على العمل الصالح، وعلم آخر نافع"[4].

---

[1]– ابن تيمية: درء تعارض العقل والنقل، جزء 7، (مرجع سابق)، ص165.

[2]– ابن تيمية: درء تعارض العقل والنقل، جزء 3، تح: محمد رشاد سالم، إدارة الثقافة، السعودية، ط2، 1411هـ/1991م، ص402.

[3]– ابن تيمية: درء تعارض العقل والنقل، جزء9، تح: محمد رشاد سالم، إدارة الثقافة، السعودية، ط2، 1411هـ/1991م، ص128.

[4]– نفسه، ص131.

فابن تيمية حين انتقد ابن رشد كان يعتقد أن ابن رشد تناول العديد من القضايا والمسائل الكلامية والفلسفية وتمجيده للعقل، فقد جنح عن مذهب السلف، وقد كان مخالف لصحيح المنقول وصريح المعقول وهذا ما جعل ابن تيمية ينتقده، وهذه باختصار أهم الانتقادات التي وجهها شيخ الإسلام للغزالي وابن رشد.

خلاصة:

في نهاية عرضي لما سبق عن تعريف العقل والنقل نستنتج بأنه مهما تعددت مفاهيم العقل والنقل، إلا أننا نخلص إلى تعريف شامل لكل منهما، فالعقل جوهر بسيط يدرك الحقائق وقد ميز الله سبحانه وتعالى به الإنسان على سائر الكائنات، والنقل هو الكتاب المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، المتمثل في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وكان لابد للمفكرين المسلمين والفرق الكلامية التطرق لنظرية العقل والنقل التي تعتبر من أهم المسائل التي يحتاجها الإنسان في حياته، وقد درسوا العلاقة بين العقل والنقل فمنهم من رجح العقل، ومنهم من أعطى مكانة للنقل، فحياة الإنسان كلها مبنية على الدين وعن كل ما أمرنا به الله سبحانه وتعالى، وكذلك على العقل، فبه نميز بين الحق والباطل وبه نتدبر القرآن الكريم.

الفصل الثاني

الفصل الثاني: مسألة التوفيق بين العقل والنقل عند ابن تيمية

تمهيد

المبحث الأول: إشكالية المعنى والمكانة للعقل والنقل

أولا: إشكالية المعنى للعقل والنقل

ثانيا: مكانة العقل والنقل

المبحث الثاني: مشروعية النقل على العقل (العلاقة بينهما)

خلاصة

الفصل الثاني: مسألة التوفيق بين العقل والنقل عند ابن تيمية

تمهيد:

إن ما نؤمن به أن الله تعالى خلقنا لغاية عظيمة وهي أن نعبده ولا نشرك به شيئا، فنعبده بما شرع ونتبع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم بما نقل إلينا، ولا سبيل إلى ذلك، إلا بالمعرفة والعلم واستخدام العقل لكي نعبده ونستعين به سبحانه وتعالى، وقد كان من أهم القضايا الإسلامية قضية العقل والنقل، فقد ظن الإنسان نتيجة التقدم العلمي أنه قادر على كل شيء حيث أصبح هناك من يدعو للتمرد على الشريعة وعلى منهج الأنبياء بحجة أن الانقياد لمنهج الأنبياء امتهانا للعقل البشري الذي استطاع أن يصل إلى ما وصل إليه من التقدم العلمي ومن هنا أصبح الجدل بين العقل والنقل لكون كل واحد منها طريقا من طرق المعرفة في الفكر الإسلامي وتعود نشأة مشكلة التعارض بينهما بعد انفتاح المسلمين على الثقافات الأخرى وترجمة كتب الفلسفة، وتقعد قضية العقل والنقل من أهم القضايا التي تناولها شيخ الإسلام –رحمه الله– فقد عالج مسألة التوفيق بين العقل والنقل، وقد قسمت هذا الفصل إلى مبحثين ففي المبحث الأول تطرقت إلى معنى العقل والنقل عند ابن تيمية، ومكانتهما عنده، وفي المبحث الثاني الذي يعتبر من أهم مباحث هذا الفصل، فقد عالجت فيه قضية العقل والنقل، والعلاقة بينهما في نظر شيخ الإسلام ابن تيمية.

ومن هنا نطرح التساؤل التالي: ما مكانة العقل والنقل عند ابن تيمية ؟ وهل وفق ابن تيمية بينهما ؟.

المبحث الأول: إشكالية المعنى والمكانة للعقل والنقل

عرف تاريخ الفكر الإسلامي صراع كبير تمثل في مشكلة العقل والنقل ولا تزال تبعات هذه المشكلة مستمرة إلى اليوم وقد اختلفوا في تحديد معنى ومكانة العقل والنقل، ويعتبر شيخ الإسلام ابن تيمية ممن أسهم إبداء رأي في هذا الطرح، ولكي أستعرض الإشكالية بشكل واضح تناولت في هذا المبحث معنى ومكانة العقل والنقل عند ابن تيمية.

أولا: إشكالية المعنى للعقل والنقل:

ذكرت فيما سبق بأن العقل وسيلة للإدراك والتمييز والحكم، وأنّ النقل هو كلام الله تعلى المنزل على رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، وقد أولى الإسلام عناية ومكانة بالغة للعقل، فهو قوة مميزة للإنسان تعرفه بالحق وتهديه إليه وبالباطل وتبعده عنه، ويعرفه ابن تيمية في كتابة الإيمان، بأنه "هو في الأصل مصدر عَقَلَ، يعقل، عقلاً"[1].

ويعرفه في كتابه الرد على المنطقين بأن "العقل في لغة الرسول وأصحابه وأمته عرض من الأعراض، يكون مصدر عقل يقل عقلا، كما في قوله: (لعلهم يعقلون)، و(لعلكم تعقلون)، و(لهم قلوب لا يعقلون بها)، ونحو ذلك"[2].

أي أن العقل عرض، فابن تيمية –رحمه الله– رفض العقل على أنه جوهر قائم نفسه، ورفض ما قاله الفلاسفة عن العقل، وأنكر ابن تيمية الأحاديث الموضوعة التي ترفع من شأن العقل ومن بين هذه الأحاديث، ما بينه في كتابه الرد على المنطقيين: "أول ما خلق الله العقل قال له (أقبل) فأقبل فقال له (أدبر) فأدبر، فقال له (وعزتي إما خلقت خلقا أكرم علي منك، فيك آخذ وبك أعطي، وبك الثواب وبك العقاب)"[3]، يبين ابن تيمية تناقض ألفاظ هذا

---

[1]– ابن تيمية: الإيمان دار ابن خلدون، الإسكندرية، (د.ط)، (د.ت)، ص24.

[2]– ابن تيمية: الرد على المنطقيين، تح: عبد الصمد شرف الدين الكتبي، مؤسسة الريان، بيروت، لبنان، (ط1)، 1426هـ/2005م، ص321.

[3]– نفسه، ص321.

الحديث حيث قال: "فإذا كان الحديث صحيحا فهو حجة عليهم، لأنه معناه أنه خاطب العقل في أول أوقات خلقه بهذا الخطاب، وفيه أنه لم يخلق خلقا أكرم عليه منه، فهذا يدل على أنه خلق قبله غيرهُ"[1].

أي أن قول (ما خلقت خلقا أكرم منك) يدل على أن العقل ليس أول المخلوقات، وقد انتقد ابن تيمية الفلاسفة اليونانيين الذين قسموا العقل، ويعتبرها أوهام فلسفية ناقصة.

وقد قال في كتابه مجموع الفتاوى أن "العقل نفس الغريزة التي في الإنسان التي بها يعلم ويميز ويقصد المنافع دون المضار، كما قال أحمد بن حنبل والحارث المحاسي وغيرهما: أن العقل غريزة، وهذه الغريزة ثابتة عند جمهور العلماء كما أن في العين قوة يبصر بها، وفي اللسان قوة بها يذوق، وفي الجلد قوة بها يلمس عند جمهور العقلاء"[2].

ويقول أيضا: "وإن أريد العقل الغريزة التي جعلها الله في العبد التي ينال بها العلم والعمل، فالذي يحصل به أفضل، لأن العلم هو المقصود به، وغريزة العقل وسيلة إليه، والمقاصد أفضل من وسائلها"[3].

معنى هذا أن العقل فطري لدى الإنسان وهبة الله لكي يدرك ويتعلم ويعمل فهو لم يكتسبه، وهذا المعنى للعقل عبر عنه كل من الإمام أحمد بن حنبل والحارث المحاسبي – رحمهما الله– فالعقل هنا عند ابن تيمية –رحمه الله– غريزة، وعلم يحصل بالغريزة.

وقد يراد بمعنى العقل أيضا عند شيخ الإسلام –رحمه الله– بأنه عمل بالعلم وعلم ضروري وهذا ما قاله –رحمه الله– في كتابه مجموع الفتاوى "العقل لا يسمى به مجرد العلم

---

[1]– ابن تيمية: الرد على المنطقيين، (مصدر سابق)، ص321.

[2]– أحمد بن تيمية: مجموع فتاوى، جزء 9، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية، (د.ط)، 1425هـ/2004م، ص287.

[3]– نفسه، ص ص286–287.

الذي لم يعمل به صاحبه، ولا العمل بلا علم، بل إنما يسمى به العلم الذي يعمل به والعمل بالعلم"[1]، أي أن العقل هو العلم الذي يعمل به وهو العمل بالعلم لا العمل بلا علم.

وقال أيضا: "ثم من الناس من يقول: العقل هو علوم ضرورية، ومنهم من يقول: العقل هو العمل بموجب تلك العلوم، والصحيح أن اسم العقل يتناول هذا وهذا"[2].

فالعقل هنا عند ابن تيمية –رحمه الله– عمل بالعلم حيث يقول في كتابه درء تعارض العقل والنقل"فإن العقل يراد به الغريزة، وقد يراد به علم يحصل بالغريزة، وقد يراد به عمل بالعلم"[3].

"فإذا أريد به علم كان أحدهما من جنس الآخر لكن قد يراد بالعلم الكلام المأثور عن المعصوم، فإنه قد ثبت أنه علم لقوله: "فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم"[4] **سورة آل عمران 61**.

وقد زعم الفلاسفة اليونانيين "أن أول ما صدر عن رب العالمين جوهر قائم بنفسه، وأنه رب جميع العالم، وأن العقل العاشر هو رب كل ما تحت فلك القمر، ومنه تنزلت الكتب على الأنبياء"[5]، فنجد ابن تيمية –رحمه الله– استنكر أن يقول الفلاسفة عن العقل بأنه مبدع كل ما سوى الله، وأن العقل العاشر مبدع ما تحت فلك القمر، ومنه نزلت الكتب على الأنبياء.

إذن فالعقل عند ابن تيمية –رحمه الله– أخذ أربع معاني وهي: العقل عرض، العقل غريزة، العقل علم يحصل بالغريزة وأخيرا العقل عمل بالعلم.

---

[1]– أحمد بن تيمية: مجموع الفتاوى، جزء 9، (المصدر نفسه)، ص ص286–287.

[2]– نفسه، ص287.

[3]– ابن تيمية: درء تعارض العقل والنقل، جزء9، (مصدر سابق)، ص21.

[4]– نفسه، ص21.

[5]– ابن تيمية: الرد على المنطقيين، (مصدر سابق)، ص322.

أما النقل فقد عرفه الفلاسفة قبل ابن تيمية –رحمه الله– بأنه: "القرآن الكريم والسنة النبوية من غير تفريق بين المتواتر والآحاد، فالقرآن الكريم لا شك في ثبوته بطريق التوتر اللفظي والمعنوي، أما السنة فمنها الأخبار المتواترة لفظا ومعنى، ومنها ما تواتر معنى فقط، ومنها أخبار الآحاد والمتواتر"[1].

وابن تيمية –رحمه الله– يوافقهم في تحديد معنى النقل، أي أن النقل نصوص شرعية من كتاب الله عز وجل ومن سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وقد أطلق على النقل مسمى الشرع، ويرى ابن تيمية بأن الأدلة الشرعية أدلة سمعية.

قال –رحمه الله– "والفقه في الدين معرفة الأحكام الشرعية بأدلتها السمعية، فمن لم يعرف ذلك، لم يكن متفقها في الدين"[2].

فقد اهتم ابن تيمية بالقرآن الكريم واهتم بالحديث "وأولاه عناية فائقة حيث إن هذا الأصل لا يكون صالحا للعمل به إلا بعد معرفة درجته من الصحة أو الضعف مع أن كثيرا من الفقهاء صرف عنايته إلى فقه الحديث أكثر من العناية بتوثيقه"[3].

وقال أيضا: "بينا أن دلالة الكتاب والسنة على أصول الدين ليست بمجرد الخبر، كما تظنه طائفة من الغالطين من أهل الكلام والحديث والفقهاء والصوفية، بل الكتاب والسنة دلا الخلق وهدياهم إلى البراهين والأدلة المبنية لأصول الدين"[4].

وجاء في كتاب الاستغاثة لابن تيمية بأن: "النقل فيما ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم لأنه واجب القبول، أو فيما ينقل عن الصحابة، وأما ما ينقل من الإسرائيليات ونحوها،

---

[1]– محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي: آداب البحث والمناظرة، الدار العلمية، ط1، 1436هـ/2015م، ص88.

[2]– سعود بن صالح العطيشان: منهج ابن تيمية في الفقه، (مرجع سابق)، ص219.

[3]– نفسه، ص220.

[4]– محمد أبو زهرة: ابن تيمية حياته وعصره – آراؤه وفقهه، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ط)، 1991، ص181.

فهم لا يكترثون بضبطها ولا بأحوال نقلها لأن أصلها غير معلوم"[1].

ثانيا: مكانة العقل والنقل:

لقد قام الفلاسفة وعلماء الكلام بتقديس العقل والإعلاء من مكانته على حساب النقل، ونجد أن "الإمام ابن تيمية هو أول رجل ثار على هذا الوضع الشائن واحتج عليه في غاية من الاستنكار وحاربه بكل جرأة وشجاعة وأثبت أن مصدر العقائد والحقائق وإنما هو الوحي والنبوة، والكتاب والسنة أما العقل فليس إلا مؤيدا لها، وليس أساسا في أي حال"[2]، فشيخ الإسلام –رحمه الله– أعلى من مكانة العقل واعتبر بأن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة دليلان يهتدي بهم الإنسان عن طريق العقل، فالقرآن الكريم هو معجزة الله سبحانه وتعالى في الأكوان، ويعتبر النور الذي يضيء طريق الإنسان طوال الحياة، ويساعد على رجع الحياة الدنيا والآخرة، وذلك من خلال إتباع ما أمرنا به الله عز وجل، والابتعاد عما نهانا عنه الله عز وجل، فالقرآن الكريم لم يأت من عدم ولم يأت دون هدف، بل القرآن الكريم يحدد هدف الإنسان الذي جاء من أجله، ويحثه على الاعتقاد والإيمان بالله عز وجل، أما السنة النبوية فتعتبر شرح وتفسير لبعض الآيات القرآنية، وهي الأخرى لا تخلو من المواعظ التي كان الرسول صلى الله عليه وسلم ينصح بها أصحابه وعامة الناس.

ويعتبر ابن تيمية –يرحمه الله– أن ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم هو الحق "وأن العقل مول ولى الرسول صلى الله عليه وسلم ثم عزل نفسه لأن العقل دلَّ على أن الرسول صلى الله عليه وسلم يجب تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر والعقل يدل على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم دلالة عامة مطلقة، وهذا كالعامي إذا علم عين المفتي،

---

[1]– ابن تيمية: تلخيص كتاب الاستغاثة، مجلد1، تحقيق: أبو عبد الرحمن محمد بن علي عجال، مكتبة الغرباء الأثرية، (د.ط)، (د.ت)، ص80.

[2]– أبي الحسن علي الحسني الندوي: رجال الفكر والدعوة في الإسلام، جزء2، تعريب: سعيد الأعظمي الندوي، دار القلم، دمشق، ط1، 1423هـ/2002م، ص283.

ودل غيره عليه، وبين له أنه عالم مفت، ثم اختلف العامي الدال والمفتي، وجب على المستفتي، أن يقدم قول المفتي"[1].

"ويرى أيضا أن العقل لا يسعه إلا الاعتماد على الرسول صلى الله عليه وسلم وطاعته، وبعد ما اعترف بالرسالة"[2]، ويرى أنه ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم هو الحق الموافق لصريح المعقول، ويرى "أن ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم هو الحق الموافق لصريح المعقول، وإن ما بينه من الآيات والدلائل والبراهين العقلية في إثبات الصانع سبحانه، ومعرفة صفاته وأفعاله هو فوق نهاية العقول"[3]، فقد كان ابن تيمية –رحمه الله– يتخذ من الكتاب والسنة النبوية حكما على جميع الأحكام الدينية الاعتقادية، والعلمية، ويعتبرها كمرجع يجب أن تلجأ إليه سائر الفرق التي تنازعت في شأن العقائد، فالعلم اليقيني هو ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، وبالتالي فابن تيمية –رحمه الله– أعطى للعلوم العقلية مكانة عالية "وكان القرآن هو الإمام الذي يقتدي به، ولهذا لا يجود في كلام أحد من سلف أنه عارض القرآن بعقل ورأي وقياس، ولا بذوق ووجد ومكاشفة"[4]، ولقد حث الدين الإسلامي من الاعتكاف والتشدد والابتعاد عن التقليد بحيث أن الإنسان لم يخلق من أجل التقليد فقط، بل خلقه الله سبحانه وتعالى بالفطرة من أجل التأمل والتدبر والحث على استخدام العقل للبحث والهداية، فقد أكرم الله سبحان وتعالى الإنسان بالعقل، من أجل حفظه من الهلاك، ومن أجل تتبع ما أمر الله سبحانه وتعالى، واجتناب ما نهى الله تعالى عنه، والأخذ بالعلم الوفير الذي أودعه الله عز وجل في كتبه، وشيخ الإسلام لم يلغ دور ومكانة العقل لكنه كان يعتمد بشكل كبير على العلوم الدينية.

---

[1]–أبي الحسن علي الحسني الندوي: رجال الفكر والدعوة في الإسلام، جزء2، (مرجع سابق)، ص284.

[2]– نفسه، ص284.

[3]– نفسه، ص284.

[4]– ابن تيمية: التفسير الكبير، جزء1، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ص120.

"وإذا كان للعقل مجال عنده ففي مجال تقريب المعقول من المنقول لا العكس"[1]، وقد "بين أن العقل الصريح يوافق ما جاءت به النصوص، وإن كان من النصوص من التفصيل ما يعجز العقل عن درك تفصيله"[2].

وخلاصة القول أن ابن تيمية، يرى أن النقل المتمثل في القرآن الكريم هو الإمام الذي يقتدي به، فإن ابن تيمية –رحمه الله– لم يكن عدوا للعقل بقدر ما كان عدوا للفلسفة، فبالرغم من إعلائه من شأن النقل ومكانته لكنه لم يهمل مكانة العقل، فلا بد من استخدام العقل من أجل فهم وتفسير القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فالعقل الذي يدعو إليه شيخ الإسلام، هو العقل الذي يتأمل ويجد الصواب، ويرى بأن أهل العلم كذلك اتفقوا بالنقل حيث قال في كتابه، منهاج السنة النبوية: "اتفق أهل العلم بالنقل والرواية والإسناد"[3].

المبحث الثاني: مشروعية النقل على العقل (العلاقة بينهما)

إن الله سبحانه وتعالى حين خلق الإنسان لم يخلقه عبثا فوهب له عقلا ليميز به الخير والشر والحق والباطل، ولكي يعرف به فضل الله سبحانه وتعالى عليه وهذا العقل محتاج إلى نور ربه من وحي وهدى، إلا أن هناك من جعل العقل حاكما وقدسه على كل شيء وجعله أصل للنقل، "وافترض وقوع التعارض بين النقل والعقل وقدم العقل فريق، وقدم النقل فريق آخر، فنشأ لون جديد من البحوث والدراسات يقوم على تأويل ما تهم المتوهمون تعارضه أو تناقضه مع العقل نصوص الكتاب أو السنة في تأويل مشكل القرآن وفي تأويل مشكل الحديث"[4]، ويعتبر ابن تيمية –رحمه الله– من الذين اهتموا بدراسة العلاقة بين العقل

---

[1]– إبراهيم خليل بركة: ابن تيمية وجهوده في التفسير، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 1405هـ/1984م، ص121.

[2]– أبي العباس تقي الدين أحمد بن تيمية: الفتوى الحموية الكبرى، (مصدر سابق)، ص279.

[3]– ابن تيمية: منهاج السنة النبوية، جزء1، تحقيق: محمد رشاد سالم، (د.ط)، (د.ت)، ص59.

[4]– عبد المجيد النجار: خلافة الإنسان بين الوحي والعقل، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن، فرجينيا، الو.م.أ، ط3، 1420هـ/2000م، ص17.

والنقل، وفي هذا المبحث سوف أبين العلاقة بين العقل والنقل في نظر ابن تيمية.

لا تمثل علاقة العقل بالنقل أية مشكل من رؤية ابن تيمية –رحمه الله– إذ حاول هذا الأخير أن يوفق بين العقل والنقل، وأن يزيل ما بينهما من تعارض، ولا خلاف بين ما وصل إليه العقل والنقل، وأن يزيل ما بينهما من تعارض، والأخلاق بين ما وصل إليه العقل، وبين ما ثبت نقله على الرسول صلى الله عليه وسلم، لأن العقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح، فأصل النقل الصحيح الكتاب والسنة النبوية، والعقل الصريح "الميزان التي أنزلها الله مع الكتاب ميزان عادلة تتضمن اعتبار الشيء بمثله وخلافه فتسوي بين المتماثلين وتفرق بين المختلفين، بما جعله الله في فطر عباده وعقولهم من معرفته التماثل والاختلاف"[1]، فالميزان العقلي حق كما ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه.

يقول ابن تيمية –رحمه الله– "وقد تأملت ذلك عامة ما تنازع الناس فيه فوجدت، ما خالف النصوص الصحيحة الصريحة شبهات فاسدة يعلم بالعقل بطلانها، بل يعلم بالعقل ثبوت نقيضها الموافق للشرع، وهذا تأملته في مسائل الأصول الكبار، كمسائل التوحيد والصفات، ومسائل القدر النبوات والمعاد وغير ذلك"[2]، "ووجدت ما يلم بصريح العقل لم يخالفه سمع قط، بل سمع الذي يقال إنه يخالفه إما حديث موضوع، أو دلالة ضعيفة، فلا يصلح أن يكون دليلا لو تجرأ عن معارضة العقل الصريح، فكيف إذا خالفه صريح المعقول ؟"[3]، أي أن العقل يعلم بطلان ما خالف النصوص الصريحة، وأن مسائل الأصول التي يتعارض فيها العقل والسمع ليست من المسائل البينة بل لم تنقل بإسناد صحيح من القرآن الكريم ولا يوجد حديث واحد أو نقل واحد معارض للنقل فإن كان هناك حديث يعارض العقل

---

[1]– أحمد بن تيمية: مجموع فتاوى، مجلد 9، (مصدر سابق)، ص242.

[2]– ابن تيمية: درء تعارض العقل والنقل، جزء1، تح: محمد رشاد سالم، إدارة الثقافة، السعودية، ط2، 1411هـ/1991م، ص147.

[3]– نفسه، ص147.

السليم فهو موضوع أو ضعيف، فلا يمكن أن يكون دليلا إذا تجرد من معارضة العقل الصريح.

"فلو قيل بتقديم العقل على الشرع، وليست العقول شيئا واحدا بينا بنفسه ولا عليه دليل معلوم للناس، بل فيها هذا الاختلاف والاضطراب، لوجب أن يحال الناس على شيء إلى ثبوته ومعرفته ولا اتفاق للناس عليه"[1].

"أما الشرع فهو في نفسه قول الصادق وهذه صفة لازمة له لا تختلف باختلاف أحوال الناس، والعلم بذلك ممكن، ورد الناس إليه ممكن، ولهذا جاء التنزيل برد الناس عند التنازع إلى الكتاب والسنة"[2].

فقد أنزل الله سبحانه وتعالى الكتاب ليحكم بين الناس فيما تنازعوا فيه، ولا يمكن أن يحكم بين الناس إذا تنازعوا إلا بالرجوع إلى الكتاب، وبالرغم من أن البعض يعلم بعقله ما لا يعلم غيره، لكن لا يمكن أن يعارض الشرع حتى لو كان عقل صريح، ويرى ابن تيمية – رحمه الله– أنه من خالف صريح المنقول فقد خالف أيضا صريح المعقول وهذه جملة سيأتي فيما بعد تفصيلها وبيان "أن كل من أثبت ما أثبته الرسول، ونفي ما نفاه كان أولى بالمعقول الصريح، كما كان أولى بالمنقول الصحيح وأن من خالف صحيح المنقول، فقد خالف أيضا صريح المعقول، وكان أولى بمن قال الله فيه «وقَالُوا لو كُنَا نَسْمعُ أو نَعْقِلُ مَا كُنَا مِنْ أَصْحَابِ السَعِيْرْ»[3].

والمعقول الصريح ليس مخالفا لأخبار الأنبياء على وجه التفصيل ومن خالف الأنبياء ليس لهم عقل ولا سمع كما أخبر الله عنهم[4].

---

[1]–ابن تيمية: درء تعارض العقل والنقل، جزء1، (مصدر سابق)، ص146.

[2]– نفسه، ص146.

[3]– محمد بهجة البيطار: حياة شيخ الإسلام ابن تيمية، (مرجع سابق)، ص ص89–90.

[4]– ابن تيمية: درء تعارض العقل والنقل، جزء 1، (المصر نفسه)، ص133.

فالمعقول الصريح مطابق لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم لا يناقضه ولا يعارضه، وهو أولى بالمنقول الصحيح، وأنه من خالف صحيح المنقول فإنه كذلك خالف صحيح المعقول، فليس في العقل الصريح ما يخالف النصوص الثابتة عن الأنبياء، والذين يعارضون الكتاب والسنة النبوية، بما يزعمون أنه من العقليات القاطعة، إنما يعارضون بالحجج الداحضة، فالقرآن الكريم قد أشار إلى استخدام العقل فابن تيمية – رحمه الله– "لا يرى أي تعارض في أي حال بين صريح العقل وصحيح النقل لأنه لم يعثر على أي تعارض بين العقل والنقل خلال دراسته الطويلة الواسعة، بشرط أن يكون العقل سليما، والنقل صحيحا ومحفوظا فقد ألف في هذا الموضوع كتابا ضخما، أثبت فيه بالدلائل وبكل تفصيل ألا تعارض بين المعقول والمنقول"[1].

فالأمور التي ثبتت صحتها بالكتاب والسنة، يصدقها العقل الصحيح، وظل العقل الصريح يؤيد النصوص الصحيحة التي جاء بها الأنبياء والرسل كعقائد وحقائق دينية "فالعقل الصريح يوافق ما جاءت به النصوص وإن كان في النصوص من التفصيل ما يعجز العقل عن درك تفصيله"[2].

فهناك بعض الحقائق لا يمكن أن تنفي ثبوتها كالرسالة التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم، فهي حقيقة ثابتة سواء علمنا هذه الحقيقة فعقولنا أم لا "فتبين ذلك أن العقل ليس أصلا لثبوت الشرع فينفسه ولا معطيا له صفة لم تكن له"[3].

والطريق الوحيد للوصول إلى العلم اليقيني في نظر ابن تيمية –رحمه الله– هو ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلمك، ومقياس صحة العقل وفساده في نظره هو موافقته

---

[1]– أبي الحسن علي الحسني الندوي: رجال الفكر والدعوة في الإسلام، مرجع سابق، ص288.

[2]– أبي العباس تقي الدين أحمد بن تيمية: الفتوى الحموية الكبرى، (مصدر سابق)، ص279.

[3]– ابن تيمية: موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول، جزء1، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ومحمد حامد الفقي، (د.ط)، 1370هـ/1951م، ص48.

للنقل وكذلك صحة النقل وفساده يرتبط بصحة العقل وفساده.

ويرى ابن تيمية –رحمه الله– أن "الكلام المشتبه المشتمل على حق وباطل فيه ما يوافق العقل والسمع، وفيه ما يخالف العقل والسمع فيأخذ هؤلاء جانب النفي المشتمل على نفي الحق والباطل، وهؤلاء جانب الإثبات المشتمل على إثبات حق وباطل، وباطله هو المخالف للكتاب والسنة وإجماع السلف فكل كلام خالف ذلك فهو باطل، ولا يخالف ذلك إلا كلام مخالف للعقل والسمع"[1]، إذ أن ابن تيمية –رحمه الله– يرى كذلك بأن القرآن الكريم هو ما يجب أن يقتدي به وأنه لا يمكن أن يكون الإنسان مؤمن حتى يؤمن بجميع ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم إيمانا جازما، يقول ابن تيمية –رحمه الله– "إذا تعارضت الأدلة السمعية والعقلية أو السمع والعقل أو النقل والعقل، أو الظواهر النقلية والقواطع العقلية أو نحو ذلك، فإما أن يجمع بينهما وهو محال لأنه جمع بين النقيضين، وإما أن يراد جميعا، وإما أن يقدم السمع وهو محال لأنه جمع بين النقيضين، وإما أن يراد جميعا، وإما أن يقدم السمع وهو محال لأن العقل أصل النقل، فإن قدمناه عليه كان ذلك قدحا في العقل الذي هو أصل النقل"[2]، وليس معنى هذا أن ابن تيمية –رحمه الله– يقدم الأدلة السمعية على الأدلة العقلية للوصول إلى المعرفة وإثبات اليقين في العقل، بل يعتقد أن للعقل قدراته على الإدراك والتمييز وهو أصل النقل، و"إذا قيل تعارض دليلان سواء كانا سمعيين أو عقليين، أحدهما سمعيا والآخر عقليا فالواجب أن يقال: لا يخلو إما أن يكونا قطعيين، أو يكونا ظنيين، وإما أن يكون أحدهما قطعيا والآخر ظنيا"[3]، فإذا تعارض العقل والنقل، وكان الاثنين قطعيين فإنه لا يجوز تعارضهما، وإذا كانا الاثنين ظنيين فإنه يقدم الراجح منهما على الآخر، وإذا كان أحدهما قطعي والآخر ظني، فإنه يجب أن تقدم القطعي.

---

[1]– تقي الدين بن تيمية: رسالة في صفة الكلام، دار الهجرة، بيروت، ط2، 1408هـ/1988م، ص33.

[2]– ابن تيمية: درء تعارض العقل والنقل، جزء 1، (مصدر سابق)، ص4.

[3]– نفسه، ص79.

"وهذا واضح في قوله: "إذا تعارض النقل والعقل إما أن يريد به القطعيين فلا تسلم مكان التعرض حينئذ، وإما أن يريد به الظنيين فالمقدم هو الراجح مطلقا، وإما أن يريد به أحدهما قطعي، فالقطعي هو المقدم مطلقا، وإذا قدر أن العقلي هو القطعي كان تقديمه لكونه قطعيا، لا لكونه عقليا، فعلم أن تقديم العقلي مطلقا خطأ كما أن جعل جهة الترجيح كونه عقليا خطأ"[1].

فتبين من هذا أنه يقدم النقل تارة، والعقل تارة، فمن كان قطعيا قدمه على الآخر، ويرى بأن تقديم العقل دائما خطأ، فهو يقدم العقل لكونه قطعيا فقط ليس لكونه عقليا، إذ أن غاية العقل في النهاية هي معرفة الله.

"وقد أبطل شيخ الإسلام ذلك كما سيأتي بيانه، وإذا قدر أنه لم يتعارض قطعي وظني لم يتنازع عاقل في تقديم القطعي لكن كون السمعي لا يكون قطعيا دونه خرط القتاد"[2]، وأيضا فإن الناس متفقون على أن كثيرا مما جاء به الرسول معلوم بالاضطرار من دينه كإيجاب العبادات وتحريم الفواحش والظلم، وتوحيد الصانع وإثبات المعاد وغير ذلك، فتبين أن كل ما قام عليه دليل قطعي سمعي يمتنع أن يعارضه قطعي عقلي"[3] وإذا تعارض العقل والنقل وجب تقديم النقل حيث يقول ابن تيمية "إذا تعارض الشرع والعقل وجب تقديم الشرع، لأن العقل مصدق للشرع في كل ما أخبر به، والشرع لم يصدق العقل في كل ما أخبر به"[4].

العقل يدل على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم فيجب تصديقه فيما أخبرنا به وطاعته بما أمرنا به، فلهذا يجب تقديم النقل على العقل، لأن العقل صدق النقل على كل ما

---

[1]– ابن تيمية: موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول، جزء1، (مصدر سابق)، ص47.

[2]– محمد بهجة البيطار: حياة شيخ الإسلام ابن تيمية، ص88.

[3]– نفسه، ص88.

[4]– ابن تيمية: درء تعارض العقل والنقل، جزء1، (مصدر سابق)، ص138.

أخبره، أما النقل لم يصدق العقل، "لأن العقل دل على صحة السمع ووجوب ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم، فلو أبطلنا النقل لكنا قد أبطلنا دلالة العقل وإذا أبطلنا دلالة العقل لم يصلح أن يكون معارضا للنقل، لأن ما ليس بدليل لا يصلح لمعارضة شيء من الأشياء فكان تقديم العقل موجبا عدم تقديمه فلا يجوز تقديمه"[1].

"فإنه من آمن بالله ورسوله إيمانا تاما، وعلم مراد الرسول قطعا تيقن ثبوت ما أخبر به، وعلم أن ما عارض ذلك من الحجج فهي حجج داحضة"[2].

"فإن الشرع المنزل من عند الله ثابت في نفسه سواء علمناه بعقولنا أم لم نعلمه، وهو مستغن في نفسه عن علمنا وعقلنا ولكن نحن متحاجون إليه وإلى أن نعلمه بعقولنا"[3]، فمعرفة الشرع تتم بامتناع وجود المعارض العقلي للنص القرآني وعن امتناع تقديم الأدلة العقلية على الأدلة النقلية.

ويذهب ابن تيمية بعد هذا إلى ربط معنى العقل عنده بالشرع فقال: "وأما إن أراد أن العقل أصل في معرفتنا بالسمع ودليل لنا على صحته –وهذا هو الذي أراده– فيقال له: أتعني بالعقل هنا الغريزة التي فينا، أم العلوم التي استفدناها بتلك الغريزة ؟ أمّا الأول فلم ترده، ويمتنع أن تريده لأن تلك الغريزة ليست علما يتصور أن يعارض النقل"[4]، "وإن أردت بالعقل الذي هو دليل السمع وأصل المعرفة الحاصلة بالعقل، فبقال لك: من المعلوم أنه ليس كل ما يعرف بالعقل يكون أصلا للسمع ودليلا على صحته، فإن المعارف العقلية أكثر من أن تحصر والعلم بصحة السمع غايته أن يتوقف على ما به يعلم صدق الرسول صلى الله عليه وسلم"[5]، أي أن ابن تيمية –رحمه الله– قسم العقل هنا إلى قسمين، الأول الغريزة التي

---

[1]– ابن تيمية: درء تعارض العقل والنقل، جزء1، (مصدر سابق)، ص170.

[2]– نفسه، ص21.

[3]– ابن تيمية: موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول، جزء1، (مصدر سابق)، ص49.

[4]– نفسه، ص49.

[5]– نفسه، ص49.

في الإنسان وما تشمله من علوم استفدناها بهذه الغريزة، والثاني دليل السمع الذي أصله المعرفة الحاصلة بالعقل، أما الغريزة فهو يرى أنه لا يمكن أن تكون علما وهي لن تعارض النقل.

وأما القسم الثاني الذي هو دليل السمع، فهو يرى بأنه ليس كل ما يعرف بالعقل يكون أصل للسمع ودليل على صحته، لأن المعارف العقلية كثيرة ومتعددة، "فإن من خالف الرسول عليه الصلاة والسلام، ليس معه لا عقل صريح، ولا نقل صحيح، وإنما غايته أن يتمسك بشبهات عقلية أو نقلية، كما يتمسك المشتركون الصائبون من الفلاسفة وغيرهم بشبهات عقلية فاسدة، وكما يتمسك أهل الكتاب المبدل المنسوخ بشبهات نقلية فاسدة"[1]، ""فتبين أن ذلك المقدم للشرع هو المتبع للشرع والعقل الصحيح، دون هذا الذي ليس معه لا سمع ولا عقل"[2]، "ومن المعلوم أن مباينة الرسول صلى الله عليه وسلم لذوي العقول أعظم من مباينة أهل العلم بالصناعات العلمية والعملية والعلوم الفعلية الاجتهادية كالطب والقيافة والخرص والتقويم لسائر الناس فإن من الناس من يمكنه أن يصير عالما بتلك الصناعات العملية والعلمية كعلم أربابها، ولا يمكن من لم يجعله الله رسولا إلى الناس أن يصير بمنزلة من جعله الله تعالى رسولا"[3]. "فإن النبوة لا تنال بالاجتهاد، كما هو مذهب أهل الملل وعلى قول من يجعلها مكتسبة من أهل الإلحاد من المتفلسفة وغيرهم فإنها عندهم أصعب الأمور، فالوصول إليها أصعب بكثير من الوصول إلى العلم بالصناعات والعلوم العقلية"[4].

---

[1]– ابن تيمية: درء تعارض العقل والنقل، جزء5، تح: محمد رشاد سالم، إدارة الثقافة والنشر بالجامعة، السعودية، ط2، 1411هـ/1991م، ص276.

[2]– نفسه، ص281.

[3]– ابن تيمية: موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول، جزء1، (مصدر سابق)، ص82.

[4]– نفسه، ص82.

من هنا يتبين أن ابن تيمية –رحمه الله– يفرق بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين أهل العلم، فهناك من الناس من يستطيع أن يصير عالما بالصناعات العلمية والعملية فقط عليهم بالاجتهاد، لكن النبوة لن تنال بالاجتهاد ولا بالاكتساب، فالوصول إليها أصعب بكثير من الوصول إلى العلم.

من كل ما سبق يظهر بأن ابن تيمية –رحمه الله– "يمتنع تقديم العقل على الشرع، وهو المطلوب، وأما ثبوت الشرع في نفسه وعلمنا به فليس هذا مقام إثباته ونحن لم ندع أن أدلة العقل باطلة، ولا ما به يعلم صحة السمع باطل، ولكن ذكرنا أنه يمتنع معارضة الشرع بالعقل وتقديمه عليه"[1]، من هذا نفهم أن ابن تيمية لم يهمل دور العقل فقد اعتمده في دراساته ولم يكن عدوا للعقل"، فلو لا العقل لم أمعن وتدبر القرآن الكريم والأحاديث النبوية المنقولة، لكنه لم يجعله العقل حاكم على الأدلة الشرعية، ومن هنا نرى أنه لا يمكن أن يقع تعارض بين العقل والشرع، ويرى بأن لكل من العقل والشرع أدلة، فالأدلة العقلية عنده نوعان "منها ما هو حق، ومنها ما هو باطل باتفاق العقلاء، فإن الناس متفقون على أن كثيرا من الناس يدخلون في مسمى هذا الاسم ما هو حق وباطل، وإذا كان كذلك فالأدلة العقلية الدالة على صدق الرسول إذا عارضها ما يقال إنه دليل عقلي يناقض خبر النبي، ويناقض ما دل على صدقه مطلقا لزم أن يكون أحد نوعي ما يسمى دليلا عقليا باطلا"[2]، إذا العقل يحتوي على الأفكار الصحيحة والأفكار الخاطئة، أما الأدلة الشرعية فقد قسمها كذلك إلى قسمين دليل سمعي ودليل عقلي ويظهر هذا في قوله: "ثم الشرعي قد يكون سمعيا وقد يكون عقليا، فإن كون الدليل شرعيا يراد به كون الشرع أثبته ودل عليه، ويراد به كون الشرع أباحه وأذن

---

[1]– ابن تيمية: موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول، جزء1، (مصدر سابق)، ص112.

[2]– نفسه، ص113.

فيه، فإذا أريد بالشرعي ما أثبته الشرع فإما أن يكون معلوما بالعقل أيضا، ولكن الشرع نبه عليه ودل عليه، فيكون شرعيا عقليا"[1]

ويرى ابن تيمية أن "غاية ما ينتهي إليه المعارضون لكلام الله بآرائهم من المشهورين بالإسلام هو التأويل أو التفويض"[2]، فالتأويل المقبول هو ما دل على مراد المتكلم والتأويلات التي يذكرونها لا يعلم أن الرسول أرادها بل يعلم بالاضطرار في عامة النصوص أن المراد منها نقيض ما قاله الرسول، كما يعلم مثل ذلك من تأويلات القرامطة والباطنية من غير أن يحتاج ذلك إلى دليل خاص وحينئذ فالمتأول إن لم يكن مقصوده معرفة مراد المتكلم، كان تأويله للفظ من باب التحريف والإلحاد، لا من باب التفسير وبيان المراد"[3].

"وأما التفويض فمن المعلوم أن الله تعالى أمرنا أن نتدبر القرآن وحضنا على عقله وفهمه فكيف يجوز مع ذلك أن يراد منا الإعراض عن فهمه ومعرفته وعقله ؟"[4]، ونستطيع القول أن شيخ الإسلام –رحمه الله– وقف من العقل موقفا معتدلا، فلم يسلم بكل ما جاء به العقل لأن العقول تخطئ وتصيب وهو كذلك لا يسلم بالأدلة غير القطعية من الأحاديث الموضوعة للتضليل بين الصحيح من أحاديث النبي فقد كان يستدل أولا ثم يعتقد ثانيا، ما أداه إليه الدليل النصي، وخلاصة قولنا أن ابن تيمية –رحمه الله– لا يسلم بتعارض قائم بين العقل والنقل، فلا تعارض بين ما وصل إليه العقل السليم وبين ما ثبت نقله عن الرسول صلى الله عليه وسلم، والموافقة بينهما قائمة على إبانة الأدلة العقلية في القرآن وإظهار الآيات الدالة على الموافقة بين الاثنين، فيرى بأن الأدلة العقلية التي يعارضون بها الكتاب والسنة مبنية على أقوال مشتبهة تحمل في طياتها من الاشتباه لفظا ومعنى وهذا ما يترك

---

[1]– ابن تيمية: موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول، جزء1، (مصدر سابق)، ص116.

[2]– نفسه، ص118.

[3]– نفسه، ص ص118–119.

[4]– نفسه، ص119.

للبعض فرصة تناولها لحق وباطل، إذ نوجز موقفه من العقل والنقل من قوله: "لا أجيبك إلا إلى كتاب الله وسنة رسوله، بل هذا هو الواجب مطلقا وكل ما دعا إلى شيء من الدين بلا أصل من كتاب الله وسنة رسوله فقد دعا إلى بدعة وضلالة، والإنسان في نظره مع نفسه ومناظراته لغيره إذا اعتصم بالكتاب والسنة هداه الله إلى صراطه المستقيم، فإن الشريعة مثل سفينة نوح عليه السلام من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق"[1].

فلا تعارض بالنهاية بين العقل والنقل، وهكذا نجد أن هدف ابن تيمية –رحمه الله– هو دعم الحجج بالقرآن الكريم والسنة النبوية ثم تقريبهما بالعقل فاستخدام العقل للتقريب لا للاهتداء، فهو لا يثق بالعقل ثقة مطلقة وخاصة في الحكم على العقائد من حيث صحتها وعدم صحتها، فهو يرى أن القرآن الكريم والسنة النبوية هم من يهدوا إلى سواء السبيل، بهذا نكون قد وقفنا على أهم نظريات ابن تيمية في التوفيق بين العقل والشرع أي بين صريح المعقول وصحيح المنقول.

[1]–ابن تيمية: موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول، جزء1، (مصدر سابق)، ص142.

خلاصة:

في نهاية هذا الفصل نستنتج أن ابن تيمية أعطى مكانة كبيرة للنقل على حساب العقل، ولقد كان لكل منهما مكانة معينة، وقد سعى للربط بينهما مع وضوح اهتمامه بإعلاء مكانة النقل، وذلك يتضح من خلال الكم الهائل من مؤلفاته التي خصصها للتكلم على النقل والشرع، حيث اعتبره بأنه الأساس الذي نبني عليه المجتمعات، فالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة هما أساس العقل.

وبالرغم من هذا فإن ابن تيمية لم يهمل دور العقل، وحاول الربط بينه وبين النقل، معتبرا أن الرسالة الإسلامية والقرآن الكريم نادوا بالتدبر، ولا يمكن أن نتدبر القرآن الكريم دون إعمال العقل.

فإن ابن تيمية وفق بين العقل والنقل، ففي نظر شيخ الإسلام أنّ صريح المعقول لا يمكن أن يخالف صحيح المنقول.

الفصل الثالث

الفصل الثالث: موقف فخر الدين الرازي من إشكالية علاقة العقل والنقل عند ابن تيمية.

تمهيد

المبحث الأول: العقلانية الكلامية.

المبحث الثاني: تعارض العقل والنقل (تقديم العقل عند الرازي).

المبحث الثالث: الوحي والعقل.

خلاصة

الفصل الثالث: موقف فخر الدين الرازي من إشكالية علاقة العقل والنقل عند ابن تيمية.

تمهيد:

إن قضية العقل والنقل والعلاقة بينهما من أخطر القضايا التي شغلت فكر المتكلمين والفلاسفة المسلمين ووفقها اختلفت وجهات النظر والآراء في تحديد العلاقة بينهما، فالناظر في تاريخ الفكر الإسلامي وتطوره يرى بأن سلف الأمة لم يعرفوا إشكالية العلاقة وبين العقل والنقل لعدة اعتبارات أهمها هيمنة صورة التكامل التي يحددها الوعي على معارفهم لقربهم من زمن التنزيل، ولأن مناهجهم في التعامل مع متشابه القرآن الكريم كانت تلخصها عبارات الأئمة، فلم يتغشى عندهم الجدل في هذه القضية، إلى أن بدأت بعض العقول في البحث في المسائل العقيدية ومنها ظهر النزاع حول قضية العقل والنقل والعلاقة بينهما، وتعتبر هذه القضية من أخطر القضايا التي شغلت فكر المتكلمين والفلاسفة المسلمين، ومن بين المفكرين الذين عالجوا هذه القضية نجد ابن تيمية الذي قدم الشرع وحاول التوفيق بين العقل والنقل، فقد كان يرى بأن العقل الصحيح لا يمكن أن يخالف النقل الصريح، لكنه انتقد من العديد من الفلاسفة، لهذا عالجت في هذا الفصل موقف فخر الدين الرازي من علاقة العقل والنقل عند ابن تيمية، وقد قسمت هذا الفصل إلى ثلاث مباحث رئيسية، المبحث الأول كان تحت عنوان العقلانية الكلامية، أما المبحث الثاني فقد عالجت فيه قضية تعارض العقل والنقل عند فخر الدين الرازي وهنا يظهر موقفه من ابن تيمية، أما المبحث الثالث فقد كان تحت عنوان الوحي والعقل.

ومن هنا نطرح التساؤل التالي: ما موقف فخر الدين الرازي من إشكالية العلاقة بين العقل والنقل عند ابن تيمية ؟.

المبحث الأول: العقلانية الكلامية:

العقلانية ليست مذهبا مغلقا يضم فريقا من الأنصار، بل هي نزعة ومنهج في التفكير بنحو إليه المفكرين والفلاسفة والفقهاء، داخل منظوماتهم ومذاهبهم الفكرية والفلسفة والشرعية، مولين العقل مكانة محورية سواء في نظرية المعرفة أو تحكيم الشرع والاجتهاد في فهم الوحي وتنزيله وتطبيق السنة، فالعقلانية تيار له تاريخ طويل، وهي موقف لقطاع كبير من المفكرين ولها جذورها في الفكر الشرقي القديم، وقد بدأت كتيار فلسفي في الفلسفة اليونانية مع سقراط وقد حاول بعض الفلاسفة المسلمين توظيف العقل للتعبير عن العقائد والدفاع عندها ضد المهاجمين لها، وقد عالجت في هذا المبحث العقلانية عند المتكلمين بصفة خاصة.

العقلانية الكلامية يمثلها الرازي[*] والغزالي والجويني[*] وغيرهم من أعلام المتكلمين، فالقانون الكلي عندهم يدعوا إلى تقديم العقل على النقل عند قيام التعارض بينهما، وهذا القانون وضعه أبو حامد الغزالي فيعتبر أحد أبرز الرجال الذين حملوا شعلة العقل الكلامي إذا قسم العلوم إلى عقلية ودينية وهذا يتضح من خلال كتابه المستصفى، فيرى بأن العلوم العقلية المحضة "لا يحث الشرع عليه، ولا ينسب إليه كالحساب والهندسة والنجوم وأمثالها من العلوم، فهي بين ظنون كاذبة لا ثقة بها، وإن بعض الظن إثم، وبين علوم صادقة لا منفعة لها، ونعوذ بالله من علم لا ينفع، وليست المنفعة في الشهوات الحاضرة والنعم الفاخرة،

---

[*] الرازي: هو فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين الرازي، فقيه ومتكلم سني من أصل فارسي ولد في الري سنة 543هـ/1149م، ومات في هراة سنة 606هـ/1209م، لقب بشيخ الإسلام ودارت بينه وبين المعتزلة مناظرات. (أنظر: جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، مرجع سابق، ص316).

[*] الجويني: عبد الملك ابن عبد الله، متكلم وفقيه شافعي، توفي سنة 478هـ/1085م نشأ في نيسابور، ووقف حياته على التعليم في الحجاز، وأفتي في مكة والمدينة فلقب بإمام الحرمين. (جورج طرابيشي: معجم الفلاسة، مرجع سابق، ص265).

فإنها فانية دائرة، بل النفع ثواب دار الآخرة"[1]، والعلوم النقلية المتمثلة في: "الأحاديث والتفاسير والخطب في أمثالها يسير إذا يستوي في الاستقلال بها الصغير والكبير، لأن قوة الحفظ كافية في النقل وليس فيها مجال للعقل"[2].

وعلى الرغم من أن الغزالي أكد على أهمية العقل اعتبره الحاكم الذي لا يعزل ولا يبدل، فإن تقسيم العلوم إلى عقلي وديني دفعه إلى تهميش العقل نوعا ما فهو يرى بأن العلوم العقلية تقسيم العلوم إلى عقلي وديني دفعه إلى تهميش العقل نوعا ما فهو يرى بأن العلوم العقلية تنقسم إلى عقلي محض لا يحث الشرع عليه كالحساب والهندسة والنجوم وغيرها من العلوم، فهي بين ظنون كاذبة وإن بعض الظن إثم، وبين علوم صادقة لا منفعة لها ونعوذ بالله من علم لا ينفع، وليست المنفعة في الشهوات والنعم الفاخرة فهي فانية، وإنما المنفعة ثواب الدنيا والآخرة، فالعقل المناقض لخبر الرسول صلى الله عليه وسلم ليس عقلا رافضا لأحكام الكتاب لأنه هنا يواجه المدرسة الكلامية المقرة بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم والمنافحة عنها ضد المتشككين في مرجعيتها، بل العقل المصر على استبعاد الخبر الظني.

فالعقلانية الكلامية نابعة من الدين وليست غريبة عن الدين والقرآن الكريم هو المؤسس الأول لهذه العقلانية إذ لم يذكر علماء الكلام العقل إلا في مقام المدح والتعظيم، وهو الأسلوب الذي استخدمه الله سبحانه وتعالى في أكثر من موضع.

فنجد كذلك فخر الدين الرازي يقر بالأدلة العقلية وعلوها وهذا يتضح في قوله: "إن لم يكن لامتداده من جهة العلو نهاية فكل نقطة فوقها أخرى، فلا شيء يفرض فيه إلا وهو سفل، إن كان له نهاية كان فوق طرف العلو خلاء أعلى منه، فلم يكن علوا مطلقا"[3].

---

[1]– أبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، المستصفى من علم الأصول، (مرجع سابق)، ص10.

[2]– نفسه، ص10.

[3]– ابن تيمية: درء تعرض العقل والنقل، جزء7، (مصدر سابق)، ص10.

ولقد خصص فخر الدين الرازي فصلا في كتابه أساس التقديس للحديث عن القانون الكلي ويرى بأن "الدلائل القطعية العقلية إذا قامت على ثبوت شيء، ثم وجدنا أدلة نقلية يشعر ظاهرها بخلاف ذلك، فهناك لا يخلو الحال من أحد أمور أربعة: إما أن يصدق مقتضى العقل والنقل فيلزم تصديق النقيضين وهو محال –وإما أن نبطلهما– فيلزم تكذيب النقيضين وهو محال وإما أن تكذب الظواهر النقلية وتصدق، وإما أن تصدق الظواهر النقلية وتكذب الظواهر العقلية وذلك باطل"[1].

"ثم إذا جوزنا التأويل اشتغلنا على سبيل التبرع بذكر تلك التأويلات على التفصيل، وإن لم يجوز التأويل فوضنا العلم بها إلى الله تعالى، فهذا هو القانون الكلي المرجوع إليه في جميع المتشابهات"[2].

لقد بنى فخر الدين الرازي قانونه الكلي على حجة السير والتقسيم زاعما أن الخيارات المتاحة محدودة وأن القسمة محصورة، فيعتبر أنه في حالة وجود التعارض بين الأدلة العقلية القطعية وظواهر النقل، أو بين السمع والعقل أنه لا يخلو الأمر من أربع خيارات، فالأول والثاني جمع بين النقيضين أو رفعهما معا، ولقد استدل على إبعادهما كما يظهر بالمبادئ الأولية للعقل ليترك الخيار الثالث والرابع فقط من يحتملان الصحة، ثم يقترح الخيار الثالث أي أن يكون المعنى الظاهر للوحي صحيحا، ولا يمكن معرفة صحة الظواهر النقلية إلا إذا عرفنا بالدلائل العقلية إثبات الصانع وصفاته.

فيرى الرازي بأن المعارف تكون عقلية فطرية، "والعقائد الحاصلة عن التصفيةّ إما أن تكون ضرورية، وإما أن لا تكون، فأن كانت ضرورية فلا كلام لنا فيها، فإنَّا قد نسلم أن النظريات يمكن أن تصير ضرورية، وإن لم تكن ضرورية فلا يخلو إما أن تكون تلك العقائد

---

[1]– فخر الدين الرازي: أساس التقديس، تح: أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، (د.ط)، 1406هـ/1986م، ص220.

[2]– نفسه، ص221.

بحال يلزم من زوالها زوال شيء من العلوم الضرورية، أو لا يلزم"[1]، فالقاعدة التي اعتمدها الرازي للتعامل مع مشكلة تعارض العقل والنقل تقتضي تقديم العقل على النقل على أساس أن العقل أصل النقل.

ومن هنا يمكن القول أن إصرار ابن تيمية على إخضاع العقل لحكم النقل يرجع إلى رغبة قوية في التصدي إلى العقلانية الكلامية، ويتضح هنا من خلال كتابه درء تعارض العقل

والنقل، فالعقل الصريح والعقلانية الصريحة لا تدل في حد ذاتها على موقف معاد للدين، ودليل على موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول، وهذا لا ينفي أن بعض العقلانيين المتكلمين كانوا بوضوح ضد الدين، لكن لا شك أيضا أن البعض الآخر يؤمنون بالدين ويضعون الله سبحانه وتعالى في قلوبهم، ويؤمنون بالوحي وسعوا للتوفيق بين العقل والنقل بطرق مختلفة.

المبحث الثاني: تعارض العقل والنقل –تقديم العقل عند الرازي–:

على الرغم من تباعد الأزمان والأعصار واختلاف المناهج والأنظار، إلا أنه ثمة علاقة تربط بين الإمام فخر الدين الرازي، وشيخ الإسلام ابن تيمية، ارتباطا وثيقا، وقد نشأت هذه العلاقة المتأخر منها، ألا وهو شيخ الإسلام، وتنوعت هذه العلاقة ما بين النقل والدفاع، والنقد والثناء، وتدريس بعض كتبه والتحذير منها، فقد كان شيخ الإسلام يذكر كثيرا الإمام الرازي في كتبه، وقد اختلفوا في قضية العلاقة بين العقل والنقل وتقديم أحدهما على الآخر، وفي هذا المبحث سوف أعالج موقف فخر الدين من ابن تيمية، وتبيين تعارض العقل والنقل وتقديمه للعقل على النقل في نظر الرازي.

"يعتبر فخر الدين الرازي أحد أئمة الأشاعرة الكبار، ويعتمد على كلامه ما جاء به بعده الأشاعرة، وكانت له زلات وسقطات عظيمة، حينما مزج الفلسفة بعلم الكلام وقد تعرض

[1]– ابن تيمية: درء تعارض العقل والنقل، جزء7، (مصدر سابق)، ص355.

للنقد من العديد من الفلاسفة والمفكرين فقد احتكم ‘لى العقل وجعله مصدر هداية وأصلا يصار إليه عند الاختلاف، ويظهر هذا المبدأ خاصة في باب صفات الله تعالى وأسمائه، فالأدلة العقلية عندهم تبين أكل كل مولود يولد على الفطرة وقد أخبرنا صلى الله عليه وسلم عن هذا "أن كل مولود يولد على الفطرة، مما تقوم الأدلة العقلية على صدقه، كما أخبر الصادق المصدوق، وتبين أن ما خالف مدلول هذا الحديث فإنه مخطئ في ذلك"[1]، حيث يرى بأن النصوص التي جاء بها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في إثبات الصفات، تبع لها فما أثبتته عقولهم منها قبلوه وما لم تثبته عقولهم ردوه، ولكن لا تنفيه، وقد وضع قانونا يحتكم إليه عند وقوع التعارض بين العقل والنقل، وأطلق عليه اسم القانون الكلي، فقد صاغ هذا القانون وجعله مرجع يستدل به من كلام الله تعالى وكلام أنبيائه.

وقد سبق للإمام فخر الدين الرازي أن حدد العلاقة بين العقل والنقل وخطى خطوة كبيرة في هذا الاتجاه، وهذا يظهر في تصريحاته الكثيرة التي أكد فيها على ضرورة الثقة بالعقل، واستخدام التأويل حين التعارض مع النقل وهذا ما يوضحه في كتابه أساس التقديس فهو يرى بأن "الدلائل العقلية القطعية إذا قامت على ثبوت شيء وكانت هناك أدلة نقلية يشعر ظاهرها خلاف ذلك، فلا يخلو الموقف أحد هذه الأمور الأربعة: إما أن يصدق مقتضى العقل والنقل، فيلزم تصديق النقيضين وهو محال، وإما أن يبطل ذلك، فيلزم تكذيب النقيضين وهو محال أيضا، وإما أن تصدق الظواهر النقلية وتكذب الظواهر العقلية وهو باطل"[2].

ويرى بأنه "لا يمكن أن نعرف صحة الظواهر النقلية إلا إذا عرفنا بالدلائل العقلية إثبات الصانع وصفاته، وكيفية دلالة المعجزة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم،

---

[1]– ابن تيمية: درء تعارض العقل والنقل، جزء8، تح: محمد رشاد سالم، إدارة الثقافة والنشر بالجامعة، السعودية، ط2، 1411هـ/1991م، ص456.

[2]– فخر الدين الرازي: أساس التقديس، (مرجع سابق)، ص220.

وظهور المعجزات على يد محمد صلى الله عليه وسلم، ولو صار القدح في الدلائل العقلية القطعية، صار العقل متهما، غير مقبول القول"[1].

"ولو كان كذلك لخرج عن أن يكون مقبول القول في هذه الأصول وإذا لم تثبت هذه الأصول، خرجت الدلائل النقلية عن كونها مفيدة، فثبت أن القدح في العقل لتصحيح النقل، يفضي إلى القدح في العقل والنقل معا، وإنه باطل"[2]، أي أنه من أقر بالرسول صلى الله عليه وسلم، وثبت عنده صدق ما أخبر به، وعلم مراده من قوله، امتنع أن يعارض قوله بدليل عقلي، فضلا على أن يقدم الدليل العقلي عليه، أما من يشك في نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم، أو يشك في كلامه، أو يزعم بأن الأدلة النقلية لا يستفاد منها العلم بمراد المتكلم، فهذا لم يثبت عنده الدليل النقلي أساسا، فالعقل إما أن يكون عالما بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم، وثبوت ما أخبر به، وإما أن لا يكون عالما به، فإن لم يكن عالما به امتنع التعارض عنده إذا كان المعقول معلوما له.

وقد ذهب الرازي إلى تقديم الدليل العقلي على الأدلة الشرعية، وحجته أن العقل أصل في إثبات الشرع، فإذا خالف الدليل الشرعي الدليل العقلي وجب تقديم الدليل العقلي عليه، ووجب تأويل الدليل الشرعي بما يوافق الدليل العقلي ويرى الرازي بأن "علم الإلهيات يعني كل ما يتعلق بالعلم الإلهي العقلي مع زوائد تقتبس من المسلمات القرآنية، فيثبت الرازي أولا وجود الواجب، ثم يبحث في صفاته السلبية أولا، والإيجابية بعد ذلك"[3].

ويعتبر فخر الدين الرازي "أول من أدخل الفلسفة على المذهب الأشعري حتى كادت تكون جزء منه، وساهم في تطوير قانون التعارض"[4].

---

[1]– فخر الدين الرازي: أساس التقديس، (مرجع سابق)، ص220.

[2]– نفسه، ص220.

[3]– لويس غردية وجورج قنواتي: فلسفة الفكرالديني بين الإسلام والمسيحية، جزء1، تح: صبحي الصالح وفريد جبر، دار العلم للملايين، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، ص298.

[4]– زياد بن عبد الله إبراهيم الحمام: مصادر التلقي عند الأشاعرة، (مرجع سابق)، ص48.

وإذا كان النص الشرعي مخالف للعقل فهو مردود قطعا لأن الشرع لا يخالف العقل، فالعقل أصل ومن أمثلة استعماله عند الرازي "إثبات موجود لا يشار إليه بالحس حيث يناقش الرازي خصومه من الكرامية مثبتا وجود شيء على خلاف حكم الحس والخيال، فيقول: فإنا إذا قلنا لهم لو كان الله تعالى مشارا إليه بالحس، لكان ذلك الشيء إما أن يكون منقسما فيكون مركبا، وإما أن يكون غير منقسم فيكون في الصغر والحقارة مثل النقطة التي لا تنقسم"[1].

"واستخدام آخر لهذا الدليل عند الرازي، وهو ما أسماه القانون الكلي القاضي بتقديم العقل على النقل عند التعارض"[2].

فالقانون الكلي عنده يبنى على مقدمة ومجموعة من العناصر والقضايا يستلزم بعضها بعضا وقد قسم المطالب إلى ثلاثة أقسام، قسم لا يمكن الوصل إليه بالسمع، كالعلم بذات الله، وقسم لا يمكن الوصول إليه بالعقل وهو وقوع كل ما علم بالعقل جواز وقوعه، وقسم يمكن الوصول إليه بالعقل والسمع معا، وهو كالعلم بأنه واحد، ويرى في كتابه نهاية العقول أنه "فيه من الأدلة العقلية أن تقول: أنا نرى الجواهر والألوان يشتركان في صحة كونها مرئيتين فهذه الصحة لابد لها من علة"[3].

ويقول أيضا في نهاية العقول: "... وذلك لو أنا قدرنا قيام الدليل العقلي القاطع على خلاف ما أشعر به ظاهر الدليل السمعي، خلاف من أهل التحقيق أنه يجب تأويل الدليل السمعي، لأنه إذا لم يكن الجمع بين ظاهر النقل وبين مقتضى دليل العقل، فإما أن يكون العقل، أو يؤول النقل"[4].

---

[1]– زياد بن عبد الله إبراهيم الحمام: مصادر التلقي عند الأشاعرة، (مرجع سابق)، ص154.

[2]– نفسه، ص154.

[3]– فخر الدين محمد بن عمر الرازي: نهاية العقول في دراية الأصول، جزء3، تح: سعيد عبد اللطيف فودة، دار الذخائر، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ص7.

[4]– ابن تيمية: درء تعارض العقل والنقل، جزء1، (مصدر سابق)، ص13.

أي أن الرازي اعتبر بأن الموقف من معارضة النقل للعقل، إما تكذيب العقل أو تأويل النقل، لكن الأول يفضي بتكذيب النقل أيضا، حيث لا طريق لإثبات الصانع ومعرفة النبوة سوى العقل وبهذا تثبت الثاني.

"وكذلك يقول الرازي في كتابه المطالب العالية: ويتوقف على سلامتها على المعارض العقلي، وأن آيات التشبيه كثيرة، ولكنها لما كانت معارضة بالدلائل العقلية لا جرم أو حين صرفها عن ظواهرها"[1]، أي أنه اعتبر أن ظواهر الشريعة لا يستفاد منها شيء معلوم ما لم تكن سليمة من المعرض العقلي، فآيات التشبيه مثلا كثيرة لكنها معارضة بالدلائل العقلية مما يوجب تأويلها وصرفها عن الظاهر، ويرى بأن الطعن بالعقل يلزم عنه الطعن بالنقل، تبعا لتوقف التأسيس الخارجي للخطاب على الاعتبارات العقلية.

ويرى كذلك بأن الحروف "إن تعددت فينا فهي متحدة هناك، وليس المحل كالمحل، وإذا قيل هي مرتبة فينا، قيل: فكذلك المعاني مرتبة فينا، فترتيب أحدهما كترتيب الآخر، وإذا قيل: دعوى اتحادهما مخالف لصريح العقل قيل: وكذلك دعوى اتحاد المعاني فكلام هؤلاء من جنس كلام هؤلاء"[2].

فالعقل عند الرازي "يتصور النفي والإثبات، ثم يحكم بتناقضهما، مع أنه لا يحكم بكون أحدهما ساريا في الآخر، أو مباينا عنه في الجهة، أو لا ساريا، ولا مباينا، ثم إنا نجد العقل يتوقف عن القسم الثالث إلا لبرهان يثبته أو ينفعه، وأن العقل يدرك ماهيات مراتب الأعداد"[3].

---

[1]– ابن تيمية: درء تعارض العقل والنقل، جزء1، (مصدر سابق)، ص12.

[2]– ابن تيمية: درء تعارض العقل والنقل، جزء2، تح: محمد رشاد سالم، إدارة الثقافة والنشر بالجامعة، السعودية، ط2، 1411هـ/1991م، ص10.

[3]– ابن تيمية: درء تعارض العقل والنقل، جزء6، تح: محمد رشاد سالم، إدارة الثقافة والنشر بالجامعة، السعودية، ط2، 1411هـ/1991م، ص330.

ويقول الرازي في شرحه "أن الله يعلم جميع الماهيات، والعلم عبارة عن حصول صورة المعلوم عند العالم، فقد حصل في ذاته صور المعلومات بأسرها، ثم زعمت أن العالم لا يتحد بالعلم"[1].

وبهذا يكون فخر الدين الرازي قد فاق من سبقه في الكشف عن الهوة بين ما يفيده الدليل العقلي من حكم وما تفيده الدلالة النقلية من معنى، فقد أصبحت العلاقة بين العقل والنقل علاقة محكومة بالإغلاق والتباعد، فهذا يدل على أن العقل يجزم بصحة الفاسد جزما ابتداءً، فإذا كان كذلك كان العقل غير مقبول القول في البديهيات.

وإذا كان العقل كذلك، فحينئذ تفسد جميع الدلائل، فالرازي أعطى مكانة مهمة للعقل على أساس النقل، فقد حقق للعقل ما لم يحققه أحد قبله، فقد أعلى من مكانة وشأن العقل على حساب النقل.

المبحث الثالث: الوحي والعقل

لقد شغلت قضية الوحي والعقل الفكر الإسلامي قديما وحديثا، ولا غرابة في ذلك، فأن الدين الإسلامي نفسه يقدر ما جاء يؤسس الحياة على دعائم الوحي، فإنه جاء يعلي من شأن العقل ويرفع من مقامه، ويجعل منه ظهير للوحي في قيادة الحياة، ومن ثم نشأ النظر الموازن بينهما المحدد لدور كل منهما في تعريف الإنسان بالحق وإلزامه به، وقد عالجت في هذا المبحث قضية الوحي والعقل.

العقل في مواجهة الوحي قضية شغلت المفكرين منذ القديم ولا زالت تشغل علماء الأمة ومفكريها، وقد اتخذت هذه القضية أشكالا مختلفة وانتحلت أسماء متغايرة، فهي قضية العلم والدين، السمع والعقل، أو النقل والعقل، وقد انقسم العلماء في تعريفهم للوحي والعقل، فقد احتدم الجدل والنقاش بين العلماء والفلاسفة قديما وحديثا حول العقل، "والعقل عندهم قوة

[1]– ابن تيمية: درء تعارض العقل والنقل، جزء 10، تح: محمد رشاد سالم، الثقافة والنشر بالجامعة، السعودية، ط2، 1411هـ/1991، ص36.

خفية تدرك بها الأشياء وهي هبة سماوية نستطيع في ضوئها أن نميز بين الحق والباطل، بين الخبيث والطيب، بين النافع والضار، بين الحسن والقبيح وسواء حملت هذه القوة الخفية اسم العقل أو اسم القلب أو اسم العلم"[1].

فللعقل مدلولات عديدة وتعاريف مختلفة، كذلك للوحي عدة تعاريف أهمها أن: "الوحي إلهام لا يختص به الإنسان دون غيره من المخلوقات ففي جانب النحل نقرأ قوله تعالى: "وأَوحَى رَبُّكَ إلى النَحْلِ أن اتَخِذِي من الجِبَالِ بُيُتاً ومِنَ الشَجَرِ ومِمَا يَعْرُشُونْ"[2].

"والوحي: إشارة: «فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ المِحْرَابْ فَأوحَى إلَيهُمْ أن سَبِحُوا بُكْرَةً وعَشِيَا»، والوحي همس ووسوسة: «وإنَّ الشَيَاطِينَ لَيُوحُونَ إلى أَوْلِيَائهمْ لِيُجَادِلُوكُمْ، وإن أَطَعْتُمُوهُمْ إنَكُمْ لَمُشْرِكُونْ»، والقرآن الكريم وحي: «إن هو إلاَّ وَحْيٌ يُوْحَى»"[3].

"والوحي في اصطلاح الشرع معناه: الرسالات السماوية التي يكلف بها نبي مختار من عباد الله ليعمل بها أو يبلغها مع عمله إلى القوم الذين أرسل إليهم، والوحي بهذا المدلول أنواعه عديدة، فقد يكون عبارة عن إلقاء المعنى في النفس والقلب، وقد يكون كلاما من وراء حجاب"[4].

إذا فالوحي هو ما أنزله الله سبحانه وتعالى على أنبيائه إما أن يكون عبارة عن إلقاء المعنى في القلب، وإما من وراء حجاب، فينزل جبريل عليه السلام على الأنبياء ويلقي إليهم رسالات السماء، فيأتي في صور وهيئات مختلفة، إذا فالعقل وسيلة لاكتشاف الدنيا والدين، "فليس بالدين وحده يحيا الناس، وكذلك ليس بالعقل وحده يحي الناس فالدين لن يعمل في الحياة عمله إلا بواسطة أصحاب عقول، والعقل لا يستطيع وحده أن يبني حياة إنسانية دون

---

[1]– عبد العال سالم مكرم: الفكر الإسلامي بين العقل والوحي وأثره في مستقبل الإسلام، دار الشروق، بيروت، ط1، 1402هـ/1982م، ص7.

[2]– نفسه، ص ص17–18.

[3]– نفسه، ص18.

[4]– نفسه، ص18.

معالم الدين ودون هدى الوحي، وغذاء الروح والضمير، والمنظومة القيمية والأخلاقية، وغير ذلك مما ينبع من الدين، ولا يستطيع غير الدين أن يقدمه"[1].

فلا يمكن أن نفصل بين الوحي والعقل فكل منهما مكمل للآخر، "منذ ظهر الإنسان على وجه الكون، خليفة لله في الأرض وثمة مصباحان منحتهما له العناية الإلهية، الوحي (الدين)، والعقل (العلم)، وبهما معا أطلق سراحه من الجنة ليسير رحلة هذا الكوكب الأرضي، فالدين بدأ مع آدم أبي البشرية، والعلم بدأ معه أيضا، كما تجمع على ذلك كل الكتب المقدسة التي هي المصدر الوحيد للتاريخ لهذه الفترة المبكرة جدا من الحياة البشرية"[2].

أي أن العلاقة بين الوحي والعقل لا تتحقق إلا إذا نظرنا لكل واحد منهما نظرة تمنحه الاستقلالية عن الآخر، بمعنى أن الوحي وحده لا يصلح أن يكون مصدرا للمعرفة الإسلامية، كما أن العقل كذلك، وإنما يجب النظر لهما بوصفهما يشكلان منهجا واحدا لتحقيق معارف الإسلام ولهذا لا يمكن أن تكون المعرفة الإسلامية خارجة عن إطار الوحي والعقل، ولا يمكنّ أن نركز على الوحي ونهمل دور العقل، فلابد من التعرف على العقل من الوحي نفسه، فتجد مثلا ابن تيمية، وقد سبقه فخر الدين الرازي يحددان مشكلة التعارض بينهما في عبارة وأوردها ابن تيمية في مطلع كتابه درء تعارض العقل والنقل، وقد نسبها لفخر الدين الرازي حيث يقول: "إذا تعارضت الأدلة السمعية والعقلية أو السمع والعقل، أو النقل والعقل، أو الظواهر النقلية والقواطع العقلية أو نحو ذلك من العبارات، فإما أن نجمع بينهما وهو محال، لأنه جمع بين النقيضين وإما أن يردا جميعا"[3].

من هنا تتضح الكيفية التي اعتمدها الرازي وابن تيمية لتجاوز التعارض أو التناقض بين الأدلة النقلية والأدلة العقلية حال قيام هذا التعارض فالقاعدة التي اعتمدها الرازي

---

[1]– عبد الحليم عويس: الوحي والعقل والعدل في ميزان الإسلام، دار الكلمة، القاهرة، ط1، 2010م، ص75.

[2]– نفسه، ص88.

[3]– ابن تيمية: درء تعارض العقل والنقل، جزء1، (مصدر سابق)، ص4.

للتعامل مع مشكلة تعارض العقل والنقل تقتضي تقديم العقل على النقل، على أساس أن العقل أصل النقل، أما ابن تيمية فقد اعتمد على تقديم النقل على العقل، وبالتالي دفع المعارض العقلي فإشكالية التعارض لا تتعلق بالتشكيك في أهمية الوحي والعقل لتوجيه الحياة البشرية، فالعلاقة بين الوحي والعقل ترتكز على مجموعة من الأسس، وهي افتقاد العقل إلى الوحي وخضوع العقل للوحي وارتباط اجتهاد العقل بالوحي وضرورة اجتهاد العقل لفهم الوحي، والانسجام بين العقل والوحي، وضرورة اجتهاد العقل لفهم الوحي، والانسجام بين العقل والوحي "فمصدر التشريع للحياة البشرية بمختلف جوانبها هو الوحي المنزل من عند الله سبحانه، وليس هناك مصدر آخر معه، أو من دونه، ومن اعتقد شيئا من هذا فقد انحرف عما قرره الإسلام وهدم أصلا من أصول اعتقاده، وناقض مراد الله منه"[1].

فالعقل هو الطريق في إثبات الوحي بما دل عليه العقل من إمكان الوحي الإلهي للبشر ولا يمكن أن يقع التعارض بين الوحي والعقل، وإذا تأملنا النص القرآني نجد أن آياته تدور على نقطة مركزية وهي الأمر بالعقل والتعقل والتدبر والتفكر في العديد من الآيات القرآنية، فلا يمكن أن تتمسك بالوحي دون العقل، قال الله تعالى: "إنَّ في خَلْقِ السَمَوَاتِ والأَرْض واخْتِلَافِ اللَيلِ والنَهَار والفُلْكِ التِي تَجْرِي فِي البَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسْ ومَا أَنْزَلَ الله من السَمَاء من مَاءٍ فَأَحْيَ به الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَ فِيْهَا مِنْ كُل دَابَةٍ وتَصْرِيفِ الرِيَاحِ والسَحَابِ لآيَات لِقَومٍ يَعْقِلُونْ"[2] وغيرها من الآيات الدالة على أن القرآن الكريم يركز على العقل بوصفه محورا أساسيا تكتمل المعرفة الإنسانية به، وهنا يمكن القول بأن علاقة العقل بالوحي علاقة تكامل فالعقل ينفتح على النص ويستبصر بنور الوحي.

---

[1]– عبد الرحمن بن زيد الزنيدي: مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الو.م.أ، ط1، 1412هـ/1992م، ص225.

[2]– سورة البقرة: الآية 164.

خلاصة:

في نهاية عرضي لما سبق، عن موقف فخر الدين الرازي من ابن تيمية حول إشكالية العقل والنقل، اتضح أن فخر الدين الرازي أعلى من مكانة ودور العقل على أساس النص الديني، عكس ابن تيمية الذي أعطى مكانة للنقل على حساب العقل، وبالرغم من هذا التعارض، إلا أن فخر الدين الرازي، لم يهمل دور النقل والنص باعتبار أن الوحي نور إلهي أفاضه الله سبحانه وتعالى على قلب الإنسان لكي يكشف الحقائق، ولكي يسترشد العقل الوحي لا بد من الإيمان، والتقوى والتسليم والتواضع وغيرها من القيم الأخلاقية، لأن القرآن الكريم هدى للمتقين فالعقل والوحي مكملان لبعضهما، ولا يمكن أن نفهم الوحي دون تدبر الآيات القرآنية بالعقل.

خاتمة

خاتمة:

من خلال دراستي وقراءتي لموضوع العقل والنقل عند ابن تيمية ومن خلال ما تم طرحه في الفصول السابقة، حاولت استنتاج جملة من النتائج، يمكن حصرها فيما يلي:

- أن لابن تيمية مكانة وغزارة لعلمه، وسعة لاطلاعه، وإلمامه بجميع فروع العلم في عصره.
- اهتمام ابن تيمية بمسألة العقل والنقل، ويظهر هذا جليا في مؤلفاته حيث تعتبر مسألة العقل والنقل من أهم المسائل التي عالجها ابن تيمية، وكذلك تميز بدقته في الشرح حينما يعرض أو ينتقد أفكار الفلاسفة الذين يخالفونه في المذهب.
- أن قضية العقل والنقل مسألة قديمة طرأت على الأديان السماوية وكان محركها الأساسي هو الانفتاح على الفلسفات القديمة وترجمة الكتب، وما جاء من مناهج وآليات عقلانية.
- أن للعقل والنقل معاني مختلفة بسبب اختلاف المفكرين والفلاسفة فلكل واحد مفهومه الخاص، إلا أن جميعهم يتفقون بأن العقل جوهر ميز الله سبحانه وتعالى به الإنسان لكي لا يقع في المهالك، وأن النقل هو ما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم عن طريق الوحي.
- الأخذ بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فالنص القرآني هو ما يعصم من الوقوع في المهالك والخطأ، وأن مخالفة النقل الصحيح ومعارضته، هو في الحقيقة اتباع للوهم والخيال، فمن أهم الضوابط التي اعتمدها ابن تيمية هي الاعتماد على الكتاب والسنة فهما مقياس يوزن بهما كل فكر.
- من قدم النقل الصحيح على العقل عند ظهور التعارض كان قد ظفر بالنقل، لكن غايته أن يكون قد صدق بالشرع بلا دليل عقلي، وهذا مما ينتفع به الإنسان بخلاف من قدم الدليل العقلي، فهذا لا عقل معه ولا نقل، وذلك هو الخسران المبين.

- أن العلاقة بين العقل والنقل هي علاقة توافق فلا يعقل أن يخالف ما خلق الله سبحانه وتعالى مع ما أنزل، فابن تيمية يرى، بأن العقل الصريح لا يمكن أن يخالف النقل الصحيح، وإذا وقع التعارض بينهما وجب تقديم النقل، فالنقل أمر الله ووحيه سواء كان قرآن أو سنة، وما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن علم بعقله أن هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلم أنه أخبر بشيء ثم وجد في عقله ما ينازعه في خبره، كان عقله يوجب عليه أن يسلم موارد النزاع إلى من هو أعلم به منه، وأن يعلم بأن عقله قاصر بالنسبة إليه.
- بالرغم من الاختلاف الذي دار بين الفلاسفة وعلماء الكلام حول علاقة العقل بالنقل على مر التاريخ لكنهم لم يهملوا دور العقل وحدوده، وكذلك لم يهملوا دور النص القرآني.
- لا يمكن إهدار العقل وإلغاؤه للمحافظة على النص الظني ما دام تأويله ممكنا لأن العقل أصل للنقل فالقدح في العقل قدح في أصل النقل في نظر فخر الدين الرازي.
- وقد تم بتوفيق الله وعونه إعداد هذا البحث الذي تكلمت فيه عن موقف ابن تيمية –رحمه الله– من العقل والنقل، وقد عالجت قضية العقل والنقل والعلاقة بينهما في نظره، وبالرغم من أنه كان يقدم النقل على العقل، إلا أنه حاول أن يوفق بينهما ويتبين هذا من خلال مناقشته لعلماء الكلام في التأويل، لأنهم اتبعوا ما تشابه من النصوص ابتغاء الفتنة.

وكانت هذه أهم الأفكار والنتائج التي تم استخلاصها من هذا البحث.

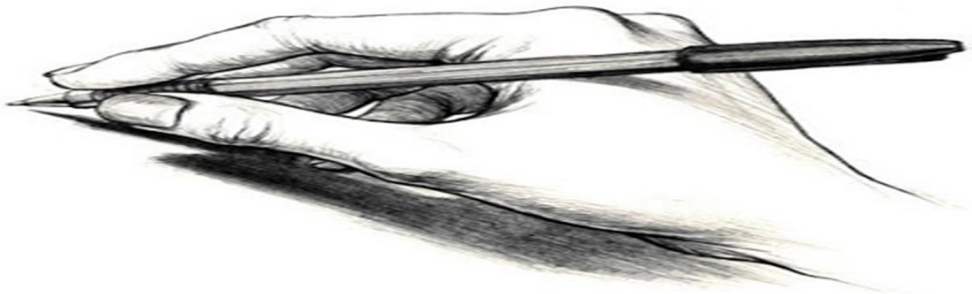

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم**

أولا: المصادر:

1- ابن تيمية: موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول، جزء1، تح: محمد محي الدين عبد الحميد ومحمد حامد الفقي، (د.ط)، 1370هـ/1951م.

2- تقي الدين بن تيمية: رسالة في صفة الكلام، دار الهجيرة، بيروت، ط2، 1408هـ/1988م.

3-ابن تيمية: درء تعارض العقل والنقل، جزء1، تح: محمد رشاد سالم، إدارة الثقافة والنشر بالجامعة، السعودية، ط2، 1411هـ/1991م.

4- ابن تيمية: درء تعارض العقل والنقل، جزء2، تح: محمد رشاد سالم، إدارة الثقافة والنشر بالجامعة، السعودية، ط2، 1411هـ/1991م.

5- ابن تيمية: درء تعارض العقل والنقل، جزء3، تح: محمد رشاد سالم، إدارة الثقافة والنشر بالجامعة، السعودية، ط2، 1411هـ/1991م.

6- ابن تيمية: درء تعارض العقل والنقل، جزء4، تح: محمد رشاد سالم، إدارة الثقافة والنشر بالجامعة، السعودية، ط2، 1411هـ/1991م.

7- ابن تيمية: درء تعارض العقل والنقل، جزء5، تح: محمد رشاد سالم، إدارة الثقافة والنشر بالجامعة، السعودية، ط2، 1411هـ/1991م.

8- ابن تيمية: درء تعارض العقل والنقل، جزء6، تح: محمد رشاد سالم، إدارة الثقافة والنشر بالجامعة، السعودية، ط2، 1411هـ/1991م.

9- ابن تيمية: درء تعارض العقل والنقل، جزء7، تح: محمد رشاد سالم، إدارة الثقافة والنشر بالجامعة، السعودية، ط2، 1411هـ/1991م.

10- ابن تيمية: درء تعارض العقل والنقل، جزء8، تح: محمد رشاد سالم، إدارة الثقافة والنشر بالجامعة، السعودية، ط2، 1411هـ/1991م.

11- ابن تيمية: درء تعارض العقل والنقل، جزء9، تح: محمد رشاد سالم، إدارة الثقافة والنشر بالجامعة، السعودية، ط2، 1411هـ/1991م.

12- ابن تيمية: درء تعارض العقل والنقل، جزء10، تح: محمد رشاد سالم، إدارة الثقافة والنشر بالجامعة، السعودية، ط2، 1411هـ/1991م.

13- ابن تيمية: أهل الصفة وأحوالهم، تح: مجدي فتحي السيد، دار الصحابة للتراث، طنطا، ط1، 1418هـ/1997م.

14- ابن تيمية: أربعون حديث، تع: أحمد إبراهيم الخارج، مؤسسة الريان، بيروت، لبنان، ط1، 1418هـ/1990م.

15- أبي العباس تقي الدين أحمد ابن عبد الحليم بن تيمية الحراني: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تح: علي بن حسن بن ناصر وآخرون، مجلد1، دار العاصمة، الرياض، السعودية، ط2، 1419هـ/1999م.

16- أحمد بن تيمية: مجموع الفتاوى، جزء9، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية، (د.ط)، 1425هـ/2004م.

17- ابن تيمية: الرد على المنطقيين، تح: عبد الصمد شرف الدين الكتبي، مؤسسة الريان، بيروت، لبنان، ط1، 1426هـ/2005م.

18- أحمد بن عبد الحليم بن تيمية: العقيدة الواسطية، تح: علوي عبد القادر السقاف، الدرر السنية، السعودية، ط1، 1433هـ.

19- ابن تيمية: مناهج السنة النبوية، جزء1، تح: محمد رشاد سالم، (د.ط)، (د.ت).

20- ابن تيمية: التفسير الكبير، جزء1، تح: عبد الرحمن عميرة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت).

21- ابن تيمية: تلخيص كتاب الاستغاثة، مجلد 1، تح: أبو عبد الرحمن محمد بن علي عجال، مكتبة الغرباء الأثرية، (د.ط)، (د.ت).

22- ابن تيمية: الإيمان، دار ابن خلدون، الإسكندرية، (د.ط)، (د.ت).

ثانيا: المراجع:

23- إبراهيم خليل بركة: ابن تيمية وجهوده في التفسير، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 1405هـ/1984م.

24- أبي الحسن علي الحسني الندوي: رجال الفكر والدعوة في الإسلام، جزء2، تع: سعيد الأعظمي البدوي، دار القلم، دمشق، ط1، 1423هـ/2002م.

25- أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي: الاقتصاد في الاعتقاد، دار المنهاج، (د.ط)، (د.ت).

26- أبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي: المستصفى من علم الأصول، جزء1، (د.ط)، (د.ت).

27- حسن الفاتح قريب الله: دور الغزالي في الفكر، مطبعة الأمانية، مصر، (د.ط)، 1398هـ/1978م.

28- زياد بن عبد الله بن إبراهيم الحمام: مصادر التلقي عند الأشاعرة، دار الهدى النبوي، مصر، ط1، 1436هـ/2015م.

29- سعود بن صالح العطيشان: منهج ابن تيمية في الفقه، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، ط1، 1420هـ/1999م.

30- عبد الرحمن بدوي: التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، مكتبة النهضة، مصر، (د.ط)، 1940م.

31- عبد الرحمن التليلي: ابن رشد الفيلسوف العالم، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، (د.ط)، 1998م.

32- عبد الرحمن بن زيد الزنيدي: مصادر المعرفة في الفكر الديني الفلسفي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الو.مأ.، ط1، 1412هـ/1992م.

33- عبد الحليم عويس: الوحي والعقل والعدل في ميزان الإسلام، دار الكلمة، القاهرة، ط1، 2010م.

34- عبد العال سالم مكرم: الفكر الإسلامي بين العقل والوحي وأثره في مستقبل الإسلام، دار الشروق، بيروت، ط1، 1402هـ/1982م.

35- عبد المجيد النجار: خلافة الإنسان بين الوحي والعقل، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن، فيرجينيا، الو.م.أ، ط3، 1420هـ/2000م.

36- فخر الدين الرازي: أساس التقديس، تح: أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، (د.ط)، 1406هـ/1986م.

37- فخر الدين محمد بن عمر الرازي: نهاية العقول في دراية الأصول، جزء3، تح: سعيد عبد اللطيف فودة، دار الذخائر، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت).

38- كامل حمود: دراسات فقي تاريخ الفلسفة العربية، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1990م.

39- لويس غردية وجورج قنواتي: فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية، جزء1، تر: صبحي الصالح وفريد جبر، دار العلم للملايين، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

40- محمد بهجة البيطار: حياة شيخ الإسلام بن تيمية تقي الدين أحمد عبد الحليم الحراني الدمشقي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1407هـ/1986م.

41- محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي: آداب البحث والمناظرة، الدار العلمية، ط1، 1436هـ/2015م.

42- محمد أبو زهرة: ابن تيمية حياته وعصره –آراؤه وفقهه– دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ط)، 1991م.

43- محمد أمان بن علي الجامي: العقل والنقل عند ابن رشد، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الرياض، ط3، 1404هـ.

44- مصطفى بن محمد مصطفى: أصول وتاريخ الفرق الإسلامية، (د.ط)، 1424هـ/2003م.

45- محمد خليل هراس: ابن تيمية السلفي، المطبعة اليوسفية، طنطا، ط1، 1372هـ/1952م.

46- نصر حامد أبو زيد: الاتجاه العقلي في التفسير دراسة في قضية المجاز في القرآن عند المعتزلة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط3، 1996م.

47- يحي هويدي: دراسات في علم الكلام والفلسفة الإسلامية، دار الثقافة، القاهرة، ط2، (د.ت).

48- يحي هويدي: دراسات في علم الكلام والفلسفة الإسلامية، دار الثقافة، القاهرة، ط3، 2002م.

ثالثا: المعاجم والموسوعات:

49- ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف، النيل، القاهخرة، (د.ط)، (د.ت).

50- أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: معحم مقاييس اللغة، جزء4، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (د.ط)، (د.ت).

51- أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: معحم مقاييس اللغة، حزء 5، تح: عبد السلام محمد هارون، دار لاالفكر، (د.ط)، (د.ت).

52- أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، مجلد3، تع: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، ط2، 2001م.

53- جميل صليبا: المعجم الفلسفي، جزء2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1982م.

54- جلال الدين سعيد: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب، تونس، (د.ط)، 24-2-1994م.

55- جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط3، 2006م.

56- رحيم أبو رغيف الموسمي: الدليل الفلسفي الشامل، جزء2، دار المحجة البيضاء، بيروت، ط1، 1434هـ/2013م.

57- عبد المنعم حنفي: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط3، 2000م.

58- عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة، جزء2، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ط1، 1984.

59- محمود حمدي زقزوق: الموسوعة الإسلامية العامة، جمهورية مصر العربية وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، (د.ط)، 1424هـ/2003م.

60- مراد وهبة: المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة، (د.ط)، 2007م.

رابعا: المذكرات والرسائل الجامعية:

61- خضراوي عائشة: جدلية العقل والنقل عند المعتزلة، بوزبرة عبد السلام، قسم الفلسفة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2019/2018م.

خامسا: المجلات والدوريات:

62- كيورك موزينا كرومي وسامي محمود إبراهيم: إشكالية علاقة العقل والنقل بين الغزالي وابن رشد، مجلة كلية العلوم الإسلامية، العدد 15، 1435هـ/2014م.

63- ليلى عباس خميس: أثر العقل في وضوح دلالة الخطاب اللغوي عند القاضي عبد الجبار المعتزلي، مجلة كلية التربية الأساسية، العدد75، 2012، بغداد.

سادسا: المواقع الإلكترونية:

64- سهيل بن رفاع بن سهيل العتبي: التيار العقلي لدى المعتزلة وأثره في حياة المسلمين المعاصرة، شبكة الألوكة، الرياض.

فهـرس المحتويـات

فهـرس المحتويـات

فهرس المحتويات

مقدمة:.....أ

الفصل الأول: مدخل مفاهيمي وتاريخي **6**

تمهيد: 6

المبحث الأول: تعريف العقل والنقل (لغة واصطلاحا) 7

أولا: تعريف العقل: 7

ثانيا: تعريف النقل: 11

المبحث الثاني: مسيرة ابن تيمية: 12

أولا: نسبه ومولده: 12

ثانيا: عقيدته ومذهبه: 14

1- عقيدته: 14

2- مذهبه الفقهي: 15

ثالثا: مؤلفاته ووفاته: 16

1/ مؤلفاته: 16

2/ وفاته: 17

المبحث الثالث: إشكالية علاقة العقل والنقل عند المتكلمين.....18

أولا: المعتزلة: 18

ثانيا: الأشاعرة: 21

المبحث الرابع: جدلية علاقة العقل والنقل عند فلاسفة الإسلام 22

أولا: أبو حامد الغزالي: 23

ثانيا: ابن رشد: 25

ثالثا: نقد ابن تيمية للغزالي وابن رشد: 26

خلاصة:.....30

الفصل الثاني: مسألة التوفيق بين العقل والنقل عند ابن تيمية.....32

تمهيد: 32

المبحث الأول: إشكالية المعنى والمكانة للعقل والنقل.....33

أولا: إشكالية المعنى للعقل والنقل:.....33

ثانيا: مكانة العقل والنقل: 37

المبحث الثاني: مشروعية النقل على العقل (العلاقة بينهما).....39

خلاصة:.....50

الفصل الثالث: موقف فخر الدين الرازي من إشكالية علاقة العقل والنقل عند ابن تيمية.

.....52

تمهيد: 52

المبحث الأول: العقلانية الكلامية:.....53

المبحث الثاني: تعارض العقل والنقل –تقديم العقل عند الرازي–: 56

المبحث الثالث: الوحي والعقل 61

خلاصة:.....65

خاتمة:.....66

قائمة المصادر والمراجع:.....68

ملخص الدراسة باللغة العربية:

توصلت من خلال هذه الدراسة إلى أهمية العقل والنقل، فقد عالجت إشكالية العقل والنقل عند ابن تيمية –رحمه الله– من زاوية دائر حدود كل منهما ومجالاته المعرفية، ومعرفة العلاقة بينهما، وقد كان لابن تيمية –رحمه الله– السبق في مسألة التوفيق بين العقل والنقل، فأثبت العلقة بينهما، وسعى إلى التوفيق بين هذين المصدرين، وكان هذا مؤكدا عند ابن تيمية –رحمه الله– من خلال مؤلفاته المختلفة، المتمثلة في أهم المصادر التي عالج فيها هذه المسألة، وقد ذكرت أهم هذه المؤلفات في هذا البحث.

فبالرغم من أن ابن تيمية –رحمه الله– اهتم بالجانب النقلي إلا أنه لم يهمل دور ومكانة العقل في فهم النصوص الدينية والتدبر في القرآن الكريم، فقد أخذ العقل عنده أربعة معاني مختلفة.

وبشأن مسألة التوفيق بين العقل والنقل، فقد وفق بينهما، فلا يمكن للعقل أن يخالف النقل، وإذا وقع التعارض بينهما وجب تقديم النقل على العقل لأن النقل هو أمر الله سبحانه وتعالى ووحيه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فلا يجب أن نهمل الجانب النقلي.

ملخص الدراسة باللغة الأجنبية:

In the light of this siudy futs, icame to the couclusion that, the reasouiny and reuelation are very imporlant as sources of islamiclaw (shaiua) from the poiut of view isutaymiyah.

May Aallaf have mercy onlum: the shieke gave importance to reason and revelation and esplain the relation between them, infact, hewas amonlg thoge who succeed to reconcile reason and revelation he coufrumed the relatiom betueeu them and comsined those twosources of islaria. lmbtaymiyali- mauyallab lavemerey on lim- locused on lins writinys on terat fact- most unportant wintiy are mentioned in this searclr.

Deppite the fact that, ibn taymnyali hacl imost interest ou revelation, but hedisl not neglect the role of reason in cenderstancligy religion tescts and quran, he considerecl that reason has four difereet meanings reason as cliacter, instinct, science and word about reconciling betwaeen reasou and revclation, ibn taymiyah coufirded that relation and gavepioeuty to revelation ifa couflict was fouvd becwse its the order otf allah as an inspiration to his prqlret mohained- may peace be upou lrim.